اشنيتف رحال

سيوف من غرناطة

الايداع القانوني : 937 / 1994
ر- د - م - ك.
9981 - 9934 - 0 - 9

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

اشنيتف رحال

سيوف من غرناطة

شخصيات المسرحية

باديس : أمير غرناطة

اسماعيل : ابن باديس من الزهراء ، يمقته باديس كما يمقت أمه وهو كثير العصيان لأنه يرغب في حكم غرناطة بصفته الإبن الأكبر سنا.

بلقين : ابن باديس من مارية ، هو وأمه يفضلهما باديس ، وبلقين صبي لا يتجاوز سنه العشرة أعوام.

يوسف : وزير باديس وهو من أصل يهودي>

علي : وزير باديس ، أمام تولي يوسف للوزارة أصبحت وزارته مظهرية.

المعتمد : أمير شبيلية .

شعلة : أخت يوسف .

الفونسو : ملك قشتالة النصرانية .

هلال : أمير رندة .

مناد : أمير مورور.

عبدون : أمير أركش .

صمادح : أمير ألمرية .

بن مريم : فقيه .

الزبيدي : فقيه.

طبع بـ : تينمل للطباعة والنشر. ص. ب. 150
امرشيش مراكش. ✆ : 30.41.72

الفصل الأول

المشهد -1-

في أحد حدود غرناطة، ساحة كبيرة خلف النهر بها صخور هنا وهناك.

إسماعيل : (لمجموعة من الجنود) احرسوا واجهة النهر الخلفية من هناك! اقتربوا من الصخور لتختفوا ورا ها ان دعت الضرورة إلى ذلك! وكونوا حذرين حتى لا يرقبكم جنود الأمير باديس! ثورتنا هاته تحتاج إلى بذل جهد كبير سواء جهد القوة أو الصبر أو الأمل . الثوار على مر الزمان إذا كانوا صادقين يبدأون ثورتهم منبوذين وينهونها بالفخر أمام الملإ.

علي : ضعوا الأمتعة أولا في العربات ، ولكن بتمهل ريثما يهبط الظلام ويسهل عليكم مأمورية المسير!

اسماعيل : علي! من مصلحتنا ومصلحة انتفاضتنا ان لا تحاول الظهور، إذا تمكن باديس من التعرف على خيانتك، فإنه سيفتك بك ويحرمنا من وسيلة قوية. هذا إذا اتفقت معي على أنه من الأفضل أن تعود إلى غرناطة حالا، نحن محتاجون إلى تجربتك في معاينة الثورات التي تحل بغرناطة وبالأندلس أيضا.

يوسف : أنا سأعود حالا إلى غرناطة وأنت علي حاول أن تبدي بعض التناقض في ملء المكان حتى لا يرتاب الأمير ، وعندما يتمكن اسماعيل من التمسك بمعطيات الفوز، عد حالا إلى غرناطة كي لا يرتاب باديس في أمرك. .

علي : من طبيعة الحال.

إسماعيل : افضل ان تبقى العلاقة بيننا متصلة بواسطة رسل سريين وحاول أن تبدو لباديس متجمدا في المكان والزمن وقليل الحركة والتطلعات وابتعد عن الشبهات، إذا تمكنت من إقناعه بشرفك الظاهري ستكون ربحا كبيرا لثورتنا لا يخالجه شك.

نحن في حاجة إلى عين تخبرنا عن أقل همسة ترعد في قصر غرناطة.

علي : كن مرتاحا!

يوسف : أودعكم.

اسماعيل : الوداع يا يوسف! عد وترصد امور غرناطة!

يوسف : (يبتعد وراء الصخور التي تحجبه عن انظارهم ويضحك مستهزءا من ثورتهم).
أغبياء. أطماعي الشخصية تتنافى واندماجي في فلك الجماعة. إذا اندمجت فلكي ادفع ببعض الأقدار لتسير وفق مصالحي لا غير. سأخطو خطوات تفوق ثورتكم هاته.
(يدخل عبر السور إلى داخل غرناطة)

علي: حاولوا الإبتعاد عني حتى اتمكن من التستر في مكان آمن عند الحرج.

اسماعيل : اتمنى ان لا تبخل علينا بالنصائح ليكون صدامنامع باديس سلميا.

علي : الأوامر لي، لا تخافوا.
(تهبط الزهراء أم إسماعيل من فوق صخرة عالية)
ماذا بك أيتها الزهراء؟

الزهراء : باديس قادم في حشد من الجنود.

اسماعيل : ماذا؟

الزهراء : إنه قادم. (ينظرون من فوق الصخور)

اسماعيل : إنه قادم بالفعل. علي! إن الخوف يستبد بي حتى أني لا أقدر على تعيين مكان وجودي في هذه اللحظة بالذات.

علي : لا يهم.

إسماعيل: أتساءل كيف استطاع القادة السابقون تحقيق الإنتصارات. علي! ماذا تقول؟ أراك هادىء الأعصاب ، ربما التجربة الحربية لا تريد من المرء أن يحتفظ بسكونه وقت الحرج. ماذا تقول؟
(ينظر إلى جانبيه بعدما لم ينتبه إليه علي وتقع بلبلة بين الجنود)
الصمت من فضلكم! رغم الحرج سأقوم بلوازم الشجاعة.

علي : قم بمهام أخرى، سأتولى تسيير الجنود!

إسماعيل: كما تريد.

علي : (للجنود) اسمعوا جيدا وافهموا أوامري فهما حربيا ! ليختبىء جنديان في كل عربة وثالث على أنه يقودها!مفهوم ! هيا بسرعة! (يتفرقون على العربات)

(للباقي من الجنود) تفرقوا انتم وراء الصخور ليسهل عليكم تطويقهم! (لراكبي العربات) لا تبقوا في الوسط !من الحكمة أن تتطرفوا هنا وهناك لتجربوا كل نسيم وإعصار! إن المرء يصادف خبايا الفلاح إذا انتفض في وجه المكان . مفهوم! (لبعض النسوة) وراء الصخور هناك، ابتعدن عن مكان المواجهة ! (للزهراء) إبقي معهن!

الزهراء: هو كذلك.

علي: (بصوت مرتفع للجنود) رغم أني امرتكم بالإختفاء فإني لا آمركم بالإختفاء، من رأى الضرورة فليفعل ولكن في الوقت الذي يلزم فيه أمر الفعل هذا (ينظر إليهم باطمئنان) جيد ! رائع ! الآن انتهت مهمتي . وبدون معرفة ما سيقع فإني اودعكم.

إسماعيل: (يطمئن الجنود) إذا نجحنا في هذه الورطة سنسيطر بسهولة على إحدى القلاع الغرناطية. ما علينا إلا الصبر والتمسك بالأمل.

علي: (غير بعيد عنهم) تمسكوا بالسيف أحسن يا إسماعيل!

إسماعيل: اختبئوا! (يختبئون بينما علي يصل إلى السور ويدخل غرناطة) (يبقون مختبئين برهة بينما يصل باديس)

باديس: (يصل وينظر إلى العربات وسائقيها مندهشا) ماذا تفعلون أيها اللئام؟

السائق : لسنا لئاما أيها الأمير باديس.

باديس: (ينظر إليهم مليا ومتعجبا) انحرافكم غير سوي. أجيبوا بصراحة؟ أنا اعترف بحقكم في أن ترفضوا وطنيتكم إذا لا حظتم أنها لا تكفي طموحاتكم ، أجيبوا بصراحة ؟

السائق 1: لا علم لي بشيء.

باديس: (بصوت مرتفع) اسماعيل! شعلة! الزهراء! أين انتم أيها اللئام؟

السائق 2 : نحن على موعد معهم هنا

باديس: غريب، تحاوراني بحرية! (لجنوده) قيدوا الخائنين وفتشوا العربات؟ سأعود إلى قصري وانظر في دوافع هذه الحرية الطائشة
(بينما يترجل جنوده يخرج جنود اسماعيل من العربات ومن وراء الصخور وتهرب خيلهم مذعورة ويشتبك الطرفان، وبعد أخذ ورد يظهر عدد كبير من جند باديس مرميا على الأرض جثثا هامدة. ولكن لكثرة عدد جنده فإنه يتمكن من أسر جند اسماعيل، وما تبقى منهم فإنه يفر في مختلف الإتجاهات . وأمام فداحة الموقف ينبسط اسماعيل على الأرض يتصنع الموت).
(يتمشى باديس بين الجثث فيلاحظ الزهراء زوجته ملقاة على الأرض) مسكينة أيتها الزهراء ! بما أن دمك هو دم بني عباد فإني اندهش لهذه السابقة الخطيرة التي تسقط فيها اطلال بني عباد دون مقاومة.
(ينظر إلي جنوده مزهوا بالنصر)
الحرب تتطلب القوة، لاشيء غير القوة.
(يرفعون ايديهم متجاوبين معه فيغضب)
أي نصر حققتموه أيها اللئام ! هذه الأجساد الميتة القليلة انتصرت عليكم! عددكم عظيم دون فائدة.
(يخرج قلما وكتابا من جيبه ويكتب .يسلم رسالة إلى جندي)
هذه لحصاد قائد قلعة شيدونيا ، بما أنها أقرب قلعة لنا ويمكن للئام أن يلتجئوا إليها ، ففي الرسالة أوامر لحصاد بأن ياسرهم . وقبل شروعه في هذا الأمر فإني امرته بأن يبلغ خبر البحث هذا إلى كل قواد الحصون التابعين لنا .
(لجندي آخر)
اعبر النهر المشؤوم واذهب عند علي ليختار لك بعض الجنود لحراسة مدخل المملكة!
(بعد نظرات الترقب المتبادلة)
أزيحوا الجثث عن العربات!
(ينهمكون في تقليب الجثث للتعرف عليها)

جندي: أيها الأمير! إسماعيل حي.

باديس: ماذا ؟

جندي: إنه حي. اسماعيل حي.

باديس: (يتوجه نحوه) كنت تتصنع الموت ! جبان ! قل! لماذا تلهث وراء ملك يستحقه الأسود ؟

اسماعيل: و المدهش أنك تركت العرين فارغا لتتعقب خطاي كتعقب الكلب للفريسة.

باديس: اسماعيل! اسمع! للآباء بعض الضعف الذي لابد منه كالتنازل، لقد كانت أمك الزهراء في حرب مع مارية أم بلقين ولكنها الآن ميتة . كل الحقائق أمام نظراتك، دهاء المرأتين الذي أرهقني قد مات بموت أحد الطرفين وعليك أن تستسلم للأبقى.

اسماعيل: بل أنا أتوهم منطقا لا علم لك به، أنا أكبر سنا من بلقين وأنت أصبحت شيخا هرما لا قدرة لك على الحكم ، تركت غرناطة يعبث بها اليهودي يوسف انكر العبث، لي الحق في ملك غرناطة دون حاجتي إلى انتظار موتك.

باديس: أفضل تسليم الملك لبلقين وقلت لك هذا. وإذا أردت أن تنعم بتسيير الأمور عن بعد فلا بأس.

اسماعيل: بلقين لازال صبيا.

باديس: لا تناقشني في هذه المسألة! أنا أفعل ما أريد! قيدوه! (يقيدونه)

اسماعيل: أرى الفاصل عندك بين حال وحال منعدما. طبيعتك هاته تؤذي الآخرين.

باديس: لا أحب أن اسمع أصداء آمالك ترهب آذاني.

اسماعيل: بدوري لا أحب أن يهدد أحد أفكاري التي يقرها واقع غرناطة.

باديس: المنطقي في الأمور هو أنك الآن مقيد لا تستطيع أن تريد وإذا كنت تؤمن بمبدإ الفروسية لا بمبدإ الواقع فالكلمة لي. إذا اقتنعت

بتفسيري للموقف فإني سأعطيك مدة طويلة من الحرية لتبدي نوايا حسنة.

اسماعيل: سأتقبل هذه المهلة بطريقة الأمراء دون أن أتخلى عن أفكاري. هذا ما تريده؟ أو إذا أصررت على شرطك سأبحث عن أفكار تناسب وضعية الأسير المحاصر.

باديس: أزيلوا عنه القيد! سأعين من يترصد شياطين ضميرك. (يفكونه من القيد) اعلم ان سيفي اكثر جرأة مني، لو كان بإمكاني أن أقتل لقتلت كل أهل الأندلس الثائرين، ولكن مع الأسف تحتم علي الآداب أن لا أزاول القتل خارج مملكتي، لأنه لا يعقل أن يحكم أحد في مكان وسيفه يحكم في مكان آخر، على كل فالأندلس يعمل فيها سيف قطاع الطرق والثوار ما يشاء.

المشهد -2-

(تمر مدة ويتمكن اسماعيل من تكوين جيش صغير من أنصاره ويفر خارج غرناطة ولكن باديس يكثف من البحث عنه ويأسره مع بعض انصاره الذين يعدمهم أولا بالسيف)
(في إحدى قاعات القصر تظهر على باديس علامات الإعياء الناتجة عن الشيخوخة وبجانبه الخدم والجنود والوزير علي وأمامهم اسماعيل مقيدا).

باديس : (لإسماعيل) إن ثوراتك الشبابية تستفزني تباعا كالأقدار ولا شراكة لي في خلقها سواء من جانب حكم غرناطة أو من جانب الأسباب الفضولية ، مغامراتك خطيرة في وجه وطننا غرناطة، ومن السهل علي كحاكم أن أعلن عن عدالة سيفي دون مراعاة لظاهرة القربى، وهي لكي أحيطك يقينا لا تهمني بقدر ما يهمني الإحتفاظ بمحيا مملكة غرناطة خاليا من دماء المؤامرة والإنتقامات المضادة ، وسأكون مسرورا إذا اظهرت لي نواياك السيئة بصورة كلامية لا أقل ولا أكثر .

اسماعيل: وماذا بعد؟

باديس: (ينظر إليه باشمئزاز) لم هذا التحدي أيها الأبله ! أنا لا أتلو عليك دينا فتتساءل متطلعا إلى السنن. نصائحي كما أكرر دائما هي أن تتخلى عن أحلامك الأميرية لا غير.

اسماعيل: أنا الوارث الشرعي والمنطقي لملك غرناطة في حالة هلاكك.

باديس: أنا الذي أقرر أميريتك أو عدمها ، ولا تفكر في أمل الحكم.

اسماعيل: الحكم يحتاج إلى لهيب الشباب لكي تحترق العوالق المرهفة.

باديس: ماذا ؟

اسماعيل: نعم، لقد أغدقت كثيرا من السلطات على اليهودي يوسف.

باديس: إنك تصر على تقدير سوء عاقبتك ، اتعلم أنه رغم أحلامك المتوحشة سأحاول جهد الإمكان أن أكون أبا غير ملك!

اسماعيل: أنا متأكد من أن غرناطة تسير في الهاوية.

باديس: هل أنت متأكد مما تقول؟

اسماعيل: تماما بالتأكيد

باديس: (بعدما ينظر إليه متأملا) إذن سأكون ملكا لا أبا فافتك بابن

أرغمته الأقدار على أن يكون ابني، سأناهض الطبيعة التي تستهزىء دون استشارة أحد.

اسماعيل: موقفي لا يتغير.

باديس: (يصمت ويبقى ينظر إليه بعمق) اعطوني السيف لأقتله!

اسماعيل: ولو مت سأصر على أنكم أمراء الأندلس تتمسكون بالمظاهر وتتركون الأندلس الغانية بين حملات الإفرنج.

باديس: (يتسلم السيف) خذ أيها الأبله! الله أكبر! الجهاد في ذريتنا قبل الجهاد في أعدائنا.

(يضربه بالسيف ويصرخ صرخة عالية ويسقط صريعا)

(للمحيطين به) ما فعلته الآن طبيعي، أترون !أجيبوا!

علي: مثل هذه المشاهد تتكرر مرارا.

باديس: ولكن قبل هذا التكرار هل هي عادية أم شاذة؟

علي: عادية أيها الأمير.

باديس: أترى إذن ياعلي ! القتل عادة قيادية خالدة. (لرأس اسماعيل) لمدة أقل من يسيرة كنت فصيح اللسان ، أما الآن فحياتك لاشيء . أترى! كنت تتمسك بوهم الولاية وسيفي بدوره يتمسك بترسيخ دمويته، لماذا تنظر إلي! لأنقذك من الموت! لا سيطرة لي على الأموات أيها الميت، ميت! (يضربه برجليه).

علي: بعد طلب اذنك أيها الأمير سنأمر بدفنه لنجنبكم الذكرى المأساوية هاته.

باديس: اتركه في ساحة القاعة ليعلن عن أسباب جنوني المرتقب! (يذهب نحو ركن ويستلقي وبعدما يشعر بالحركة تتجدد في جسده ينهض ويجرح يده بالسيف فتسيل الدماء).

أترون إلى دمائي تسيل ولو أني لا أتعمد الألم ! هل لا تقدرون على شيء غير النظر؟ أريد أولا أن أعرف لماذا تسمون جنودا ؟ ألأنكم زخرف من زخارف الدولة؟ لا أفهم في أمركم شيئا! علي! احضر الفقيهين!

علي: هل أحضرهم بالفعل أيها الملك؟

باديس: في أوامري تجادلني يا هذا! قلت احضرهما من السجن وكفى!

أوامري مقدسة لا تناقش.

علي: ظننت فقط أنك لا تنوي الجدية.

باديس: مملكتي لا مكان فيها للظنون.

علي: لهذا أقدم لك اعتذاري. (يخرج)

باديس: اذهبوا معه لتحضروا الكلبين !أريد أن أبقى وحدي، لم أعد أتحمل رؤيتكم. إن الوجوه رتيبة تجلب الإشمئزاز إلى كل نفس.(يخرجون ويبقى وحده)

لم أرتكب أي قبيح إلا ما تلطخت به الأيام منذ شعرت بأن لها صفحة خاصة بها . تهوى أن يعبث بها اللئام عبثا صبيانيا . هذا ما يحق لها فعله في حقيقة الأمر. لم أصادف حاكما له ضمير كضميري الذي هو خليق به أن يكون ضمير مصلح. يلومني أكثر من لوم المجتمع الغرناطي لي، فيه على ما أظن بعض سمات الضمير العاقل، رغم جريمتي في حق اسماعيل ورغم الجرائم المرتقبة فإني لا أعتبر نفسي مجرما، لأن بلادنا المسلمة بها مجرمون غيري موهوبون في ارتكاب الفضائع ، يبلغون بها الذروة في الفنية والإتقان ، سأفعل فيكم ما أشاء أيها المسلمون. سأعطي السلطة لليهودي يوسف ليستبد بكل ما هو ظاهريا مسلم وباطنيا غير ذلك من الرذائل .أوغاذ ! الئام ! أرذال! (ينظر إلى رأس اسماعيل)

بعد لحظات يسيرة لا زالت في عداد حاضرنا الدموي هذا ،قلت لك بأن قرابة الدم لا تعني شيئا في هذا العهد الإسلامي، وأنا الذي دفعت إلى تحقيق هذا، إنها لا تكفي لزجر روح الجريمة التي في نفسي ، سيهبط الظلام بعد قليل وجريمتي في حقك ستأخذ بعدا أندلسيا، مريبا بالمرة. (يغير من لهجة تدمره بحدة أقل).

الصباح آت أيها الأرذال! الخيال الذي يراودني ما هو إلا خيال شيطان فاصل ، يخلق أشكالا من الفساد في لمحة يسيرة ويكره أن يشار إليه بحرف تقويم ، الويل لكم جميعا.

(يأتونه بالفقيهين مكبلين بالقيود) مرحبا ! مرحبا! أهلا بالفقيهين التقيين !لي حنين إلى القتل والدم ، والنظرة فيكما تشفي غليله.

الزبيدي: وصلتنا أخبارك الدموية وزادت في كفرك.

باديس: (يلتفت إلى الفقيه بن مريم) هل من مزيد بن مريم؟

بن مريم: صدق الزبيدي.

باديس: ماذا تقول أنت!

بن مريم: أزيد إيضاحا أنه بإجماع علماء شبيلية أنت كافر.

باديس: تقويم عظيم

الزبيدي: علماء الأندلس جميعهم على رأي واحد، رأي لا يناقش حتمية كفرك.

باديس: هذا رأي العلم في أخلاقي أو ما تدعونه علما ، أما غرناطة فما دخلكما فيها ! هل علمكم أو فقهكم هذا له صلاحية التوسع إلى حدود ممالك الغير !ما هذه الغباوة الإستبدادية!

الزبيدي: نحن الفقهاء ننظر بأعين جامعة لا تفرق بين أرض وأرض.

باديس: هل هذه المسألة يقرها الفقه؟

الزبيدي: تقويمنا للناس فوق الفقه.

باديس: هل تعلم أنكم أغبياء!

الزبيدي: كل القيم نرتبها نحن العلماء دون اهتمام برأي اللئام فيها .

باديس: أوه! أف لأجدادنا ، لم يكونوا حساسين نحو الضبط بين خلق وخلق، تركوا المهمة لكم فرفع الأغبياء من مكانتكم بشكل سافر، هذه المسألة تستوجب المراجعة، أف، أف، هذا استبداد روحي، سأتحرر من تفاهات السلف، انتم الفقهاء منافقون من نوع رهيب، على أقل نظرة فأنتم تبدأون هوايتكم في الدين وتنهون نضجكم في السياسة وارتكاب الموبقات، أنتم مهد الفساد .

بن مريم: ما المقصود من استدعائنا!

باديس: قدرت عليكما الموت عندما وطئت أقدامكما قصري هذا .

بن مريم: بكل هذه الوقاحة!

باديس: نعم يابن مريم! حرضتما القبائل على التوحد بحكم نفسها ، فذقت مرارة الثورات والفتن ، ستموتان الآن وباقي الفقهاء سأجعل

الإضطهاد سنة تلازمهم.

.الزبيدي: ستكون بحق كافرا لا محالة

باديس: (يضربه برجله) كفروا وسلموا كما تهوون أيها المنافقون أفسدتم الأجيال والأزمان ، مآسي الملل المتناحرة سببها أنتم، إن مصلحة تجمع بين ملتين خير من دين يفرق بينهما سأوطد هذه الحكمة في مملكتي وأشيد فروعها فوق تعاليمكم.

الزبيدي: (ينظر إلى بن مريم وعلامات التعجب تظهر على ملامحهما) كافر.

بن مريم: والله أنت كافر.

(يدخل جندي)

الجندي: أيها الأمير السلام عليكم.

باديس: أولا ما الجديد وثانيا عليك السلام!

بن مريم: (يقاطع حديث باديس مع الجندي) سنأمر باجتماع العلماء لنطعن في شرعية حكمك .

باديس: (يركله برجله) الصمت أيها اللئيم ! عذبوهما ريثما أنهي حديثي المتأني ويظمأ سيفي! (يعذبونهما) ما الجديد!

الجندي: أرجو المعذرة أيها الأمير. جئت لمجرد تلقي نصيحة حربية، في اللحظة التي تخلينا فيها عن مناوشة جنود ألمرية تمكن صمادح من أسر بعض جنودنا.

باديس: فرطتم في المعاينة الواقعية وفلتت منكم معالجة الأزمة في الحين . هل تنتظر مني معجزة لأفك بها الجنود ؟ فقط تخليتم عن الهجوم فانهزمتم. لا غير. اسمع الا أريد أن تستبد بكم الرحمة لما فيه مصلحة الأعداء . إذا تمكنتم من دخول المرية، اعبثوا! مفهوم! الشرف الحقيقي السابق هو الان ضعف والفساد هو الشرف.

الجندي: مفهوم أيها الأمير.

باديس : خذ هذا السيف واقتل اللئيمين!

(يأخذ السيف ويقتلهما دون تردد)

وفقك الله أيها الجندي. أف أشعر بالألم.

(يسمع صرخة ابنه اسماعيل ويسقط على الأرض مغميا عليه)

المشهد -3-

اصبحت صرخة اسماعيل تباغث باديس بين حين وحين بشكل مفاجئ، فكلما باغثته الصرخة يسقط على الأرض مغميا عليه ومع مرور الأيام أحس بالضعف وبالموت يترصده، ولهذا السبب قرر بأن يعقد اجتماعا مع وزيريه يوسف وعلي.

(خادمان يفرشان القاعة التي ستشهد الإجتماع)

الخادم 1 : غرناطة سر من الأسرار لا تعجبني مغرياته.

الخادم 2 : الأندلس كلها أسرار.

الخادم 1 : لا أشك في وجود هاوية تمشي صوبها غرناطة بسرعة.

الخادم 2 : الأندلس تمشي بدورها في نفس الإتجاه إذا أردت التحقيق.

الخادم 1 : استخدم مواهبك وزين القاعة وإلا ستخل بإحدى قواعد القصر، ولو عن غير نية.

الخادم 2 : ما دمت تعرف متطلبات التزيين تفضل وافعل ما تريد حسب ذوقك!

الخادم 1 : لا يصادفني الفلاح إذا قمت بشيء لا أستسيغه، لأن كل هذا التكلف لا يخرج عن دائرة النفاق الأندلسي.

الخادم 2 : (يقف وينظر في أرجاء القاعة إلى الأفرشة)

هذا الشكل ليس في مستوى الأمير باديس.

الخادم 1 : (ملوحا بيده) دع عنك هذا ! كل شيء على ما يرام، إلا أشياء قليلة من الأحسن أن تبقى كما هي، وإنما هذا الكرسي فقط يجب إبعاده عن النافذة ،لأن أمراء الأندلس مرهفون لا يقوون على مواجهة عوامل الطبيعة وجها لوجه ، وإذا رأيت أنه لابد من التغيير سأفعل.(بعد استغراق في التأمل)
موافق.(يبعد الكرسي عن النافذة).

الخادم 2 : (يشير إلى بساط غير مفروش) هل تتذكر هذا البساط؟

الخادم 1 : اتذكر الأشياء الغائبة والبساط موجود أراه فقط.

الخادم 2 : أقصد الأحداث التي وافقت وجوده.

الخادم 1 : الآن فهمت ولكن لا أعرف قصته.

الخادم 2 : طيب! هل زين القاعة أم لا!

الخادم 1 : آ، طبعا، إلى حدود أنها ليست بقاعة للعرش إذا لم يوجد.

الخادم 2 : صحيح ما قلت، لان المعتمد بن عباد هو الذي أهداه لباديس خلال معاهدتهما التي وقعاها في شبيلية العام الماضي.

الخادم 1 : وماذا يكون المعتمد غير كونه الأمير الأديب، أدبه يجعل بينه وبين الأطماع الأميرية حجابا من القناعة والإكتفاء.

الخادم 2 : أمراء الأندلس كلهم منافقون.

الخادم 1 : هل تلومهم على تبادلهم الود فيما بينهم؟

الخادم 2 : ودهم نفاق. وفي هذا الظرف بالذات لا ألوم أحدا في التشهير بهم.

الخادم 1 : لابد من التكافل فيما بينهم رغم الأحوال. ألا ترى أن أميرنا باديس والمعتمد سيجددان المعاهدة خلال أيام قليلة قادمة لما فيه مصلحة الإسلام والأندلس!

الخادم 2 : إن نظرتك المتحفظة هاته مسمومة لا تفيد وطننا غرناطة هم ينافقون مستقبل الأندلس وأنت تنافق الوطن ، إن مثالية فكرتك هي الرمز لقيم قديمة، فابسط علاقة بين أميرين مسلمين سرعان ما تنتهي بمؤامرة أخلاقية.

الخادم 1 : إذن!

الخادم 2 : إذن من لم يرب نفسه ويرفعها فوق الغرور كالمعتمد، يمكن أن يأتي غدا ليطالب بمبايعتنا له ظنا منه أن تربة غرناطة تمت بالصلة الدموية إلى تربة شبيلية، لا لسبب ،إلا لأن البساط زين قصرنا كما كان يزين قصره، عقولهم عليلة.

الخادم 1 : إذا صح هذا عليه مسبقا أن يطالب بولاءنا له لأن ما تبقى من الشمس الساطعة على بلده يسطع على بلدنا دون أن ندفع فيه مقابلا.

الخادم 2 : لا أعني كل هذا، فقط اللئيم كالشيطان فصيلة واحدة إذا أراد أحدهما أن يوقع بشريف النوايا ،فإنه يجعل من أبسط المفاسد حجة على ولاء لمذهبه.

الخادم 1 : عجيب!

الخادم 2 : شرف نيتنا مرهون بإحراق هذا البساط.

الخادم 1 : ولو أن هذا سيؤدي بنا إلى قطع صلتنا بالآخرين.

الخادم 2 : قلت لك أن الوطن الغرناطي لا مصلحة له في مواطن متحفظ الأفكار يحسب لكل جريمة حسابات صراطية، سأحرق البساط حتى لا أشارك في مؤامرة الفساد.

الخادم 1 : هل لك الوجاهة لتقوم بهذا ؟

الخادم 2 : قبل أن أكون خادما فأنا سفاك ، عندما ينتهي التوافق السياسي أتدخل بالسيف

الخادم 1 : عجيب! (الخادم السفاك يحمل البساط ويخرج)

(تدخل شعلة)

شعلة : هل حضر الوزير علي؟

الخادم 1 : لم يحضر بعد.

شعلة: أين ذهب السفاك؟

الخادم 1 : لا أدري (تخرج ويبقى يمشي متأملا رونق القاعة)
(يدخل السفاك) فعلتها بحق!

الخادم 2 : بإمكاني أن أقوم بالأكثر.

الخادم 1 : وفقك الله في خدمة الأمير.

الخادم 2 : رغم المظاهرورغم الإخلاص غرناطة بلد الظلام والمؤامرة. أميرها عجوز أعطى السلطة ليهودي له كلمة الفصل في طوائف العرب والمسلمين.

الخادم 1 : هذه أشياء لابد منها. وإذا لم يقبلها منطقك فهي تفرض نفسها رغما عنك. (ينهمكان في تزيين القاعة)

الخادم 2 : رأيت شعلة خارجة من هنا ، عمن تبحث؟

الخادم 1 : تريد علي ! (يرفع رأسه إلى الأعلى كمن يفكر) أعرف.

الخادم 1 : إنها تقوم بأدوار شريرة لا تصلح لغرناطة، لها اتصالات مع هلال من داخل السجن. وأخيرا نمت اتصالاتهما لتصبح ثلاثية بمشاركة

علي، والأكيد أن أخاها يوسف يريد تزويجها بعلي ليؤمن بهذه الرابطة شر ميلها إلى هلال.
(تدخل شعلة)

شعلة: (للخادم 1) حالة الأمير باديس ميؤوس منها اليوم، يجب الإعتناء به.

الخادم 1 : حاضر شعلة .(يخرج)

شعلة : (تتأمل أرجاء القاعة) ينقص هذه القاعة بعض التناسق .

الخادم 2 : لا أحتاج إلى إقرار العكس.

شعلة : إن كان تناسق ضدين متناقضين فمن الأحسن

الخادم 2 : آ . أوافق ما دام في الأمر تجديد طبيعي (يدخل الوزير علي)

علي: السلام عليكم. أهلا شعلة.

شعلة: توقعت حضورك.

علي: (للخادم 2) القاعة مزينة على أحسن ما يرام.

الخادم 2 : دائما في خدمتكم سيدي الوزير.

علي: تكون اكثر توازنا هذه القاعة إذا بقي إثنان عوض ثلاثة.

الخادم 2 : حاضر سيدي الوزير (يخرج)

علي : هل من جديد شعلة!

شعلة: نعم، باديس أجل الإجتماع.

علي: ما السبب!

شعلة: صحته بدأت في التقدم نحو أول الموت.

علي: وضحي مباشرة ! هل ميؤوس منه!

شعلة : أهدافنا بعيدة المنال في هذا الوضع بالذات.

علي: ستحققين تقريبها أنت . المرأة في الأندلس بإمكانها أن تتطلع إلى إيجاد إمارة لعاشقها فتفلح حالا ، وأنت لك الجاه والسلطة كباقي غواني الأندلس لتنافسي الأمراء في كؤوس الخمر والجريمة ، غرناطة فسدت فسادا عميقا. أريد أن أشارك بشيء من الإصلاح وسأحققه بطرق سيئة .

شعلة: العيون ترقبنا يا علي وأشدها دقة عيون أخي يوسف.

علي: ما الحل.!

شعلة: لابد من الزواج ولو ظاهريا لنبرر كثرة اللقاء.

علي: لا يوافق عليه يوسف.

شعلة: سيوافق . أنا أعرفه جيدا.

علي: الزواج أم أخوك!

شعلة : أعرف أخي. (يدخل يوسف)

يوسف: أهلا، السلام عليكم.

علي: أهلا بك يوسف ! أين الأمير باديس؟

يوسف: يعتذر للمرة الثانية.

علي: لا بأس، هذه علامة الإنهيار ، شيخوخة الأمير وإمارته متوازيان.

يوسف: (يهم بالخروج) سأودعكما .

علي: انتظر!

يوسف: ها أنذا !

علي : ماذا قلت في طلبي يد شعلة!

يوسف: لم أنس ولكن الأمر يتطلب مدة طويلة للفهم.

علي: لا ! الأمر يتطلب العبث ليكون عاديا.

يوسف: امهلني ! شعلة هي أختي الوحيدة ،سأتأنى في تقرير مصيرها. نحن اليهود لقلة عددنا إذا تنازلنا عن ذريتنا كأننا نتنازل عن العقيدة.

علي: سامحك الله، لا يهم.

يوسف: (يبتسم) أفاجئك بموافقتي على الزواج.

علي: هدية في غير أوانها

يوسف: أتمنى أن لا يرهبك موقف أختي ، أمر مني إليها لتقبلك زوجا سترضخ إليه حالا لاستعداد نفسي لا تقوى على مخالفته.

علي: تأخر عطاءك.

يوسف: لا يهمك الوقت.

علي: سيكون الزواج متزامنا مع تنازلي عن الوزارة المظهرية .

يوسف: ماذا ؟ تتنازل عن الوزارة ، ما السبب؟

علي: انهكتني المظاهر ، ارهقتني المظاهر.

يوسف: وترضى بالعيش وراء الأنوار!

علي: قررت هذا تجاوبا مع إحساس أظنه من دواعي الشرف، غرناطة بها رجال، رجال غيري طبعا.

يوسف: أنا الأمير ، سأصبح الأمير ، أنا ضد ما تختاره نفسك إلى حدود أني سأرغمك على ما أريد.

علي: أسباب كثيرة استصغر بها الحياة في هذا البلد الأندلسي، لا أطيق العيش في غرناطة والأندلس.

يوسف: لي من الوسائل ما يريح خواطرك ورغباتك، سأفاجئك بالكثير، وإذا لاحظت هذا مستقبلا أرجو أن لا تظن بأن اليهود يسرفون في الوسائل من أجل الأهداف.

شعلة: أمر معقول

علي: إذا كانت هذه الهبات تنتظرني سأسمح في أفكاري.

يوسف : ستعرف قيمة وعودي عما قريب.

علي : ما الداعي بالضبط إلى هذا التبرير المستقبلي؟

يوسف: كي لا تفكر في أن قرانك بأختي وراءه مصلحة

علي: لا أشك في شرفك.

يوسف: ولكني أحبذ أن يبقى الزواج فكرة ريثما تخلق لنفسها مناخا ملائما للتطبيق.

علي: لا أقبل التأخير.

يوسف: ربما تعلم أن هذا الزواج منذ البداية تهدده حواجز دينية وسياسية وظرفية دون أن أقنعك بأنه من الأولويات أن توطد سلطتك الوزارية.

علي: من المصلحة لبدإي أن أفعل ما أريد دون مراعاة لما تدعيه

حواجزا.

يوسف : لابد لك من السلطة لتتجنب القيل والقال، لابد من إقفال فم الفقهاء.

علي: لك الإختيار بين نعم أو لا، كلمة واحدة ولكنها فاصلة توضع نفسيتين. قل!

يوسف: (بعد تفكير مصطنع) في الحقيقة لأول مرة أشعر بأن للعهد صفحة أخرى غيرتلك التي اعرف

علي: ماذا قررت ؟

يوسف: من طبيعة الحال سأوافق، (ينظرإلى شعلة) ما رأيك شعلة!

شعلة: سأكون أشد واقعية إذا قلت لك بأني أوافق

يوسف: طيب. على سبيل المعرفة يا علي فإن توافق فكرة يحملها ذهن يهودي في القدس مع فكرة مسلم في غرناطة لا يقدر دين على إزالتها . الحواجز الدينية مرهفة أمام معاملات الناس. الناس يبقون بشرا فيما بينهم لا يسمون إلى مثالية التعاليم الدينية

علي: أظن!

يوسف: إذا كان الدين بمعنى من المعاني يهدف إلى إشراك الناس كلهم في مسيرة قدر أخلاقي واحد فإننا حققنا هذا انطلاقا من نفسنا كما أني أفضل تطبيق المراسيم دون شرعيات

علي: خصلة الرفض غريبة عنا.

يوسف: ابغض شيء يستفزني هو القول بالدين دون التخصل بسلوك حسن. في الدين أوامر كثيرة ولكنكم أكثر تعرضا لاقتراف الشذوذ.

علي: لابد من احترام الشرعيات.

.يوسف: الشرعيات مجرد قيود منسوخة في العقود والعقود مجرد أوراق تزول بفعل نار طائشة.

علي: للشرعيات عندنا وزن ثقيل

يوسف: لا أحب أن أعاكس معتقداتي في سبيل الإستجابة للأعراف التي اعتبرها أوهاما ، ما رأيك شعلة!

شعلة: كل شيء من أجل علي!

علي: (بعد صمت وتفكير) افعل ما تريد! والشيء الأكيد أنه ليست هذه هي المرة الأولى التي تنتهك فيها أعراف المسلمين.

يوسف: شعلة لك بخواطرها وهيبتها، اذهب الآن واحضر باديس لنسرق منه بقايا الملك العالقة بشيخوخته

علي: قلتم بأنه أجل الإجتماع.

يوسف: أعرف، تلك أقوال مظهرية لا تهمني، قولي أنا فوق كل شيء.أمري أن يحضر رغما عنه، مادام في نيتي أن أستبد بسلطته ستطفو رغباتي فوق رغباته، يجب أن تحضر برفقته مارية وولي عهده بلقين. كل ما سأفعله هو من أجل توطيد سلطتك.

علي: سأفعل.(يخرج ويتجه صوب ركن خارجي ويستمع إلى حديثهما)

يوسف: هل لديك تعليق!

شعلة: أظن لا!

يوسف: كل ما يهم هو أن تتوارى أنظاره عن المنكر الذي سأقترفه ويسهم في فساد غرناطة كغيره.

المشهد - 4 -

يدخل باديس متكئا على ذراع زوجته مارية وورا ه ابنه بلقين والوزيران علي ويوسف وبعض أفراد الحاشية، يجلسونه برفق على الكرسي).

يوسف: ترفقوا به ليجلس على كرسي العرش.

علي: رفقا به.

يوسف: (جانبا بصوت منخفظ) ولو أن هذا الكرسي في حاجة إلى وزن أثقل. (يستوي على الكرسي).

باديس: سأحدثكم بعجالة لئلا تستبد بسمعي صرخة اسماعيل، صارت لي علاقة بها ملؤها العذاب والحساب. وكما ترون قد هرمت وبقي من أيام حياتي نزر قليل كما يبقى رماد من تراث محروق. سأموت عما قريب. هربت مني إرادة الحياة وهي كالرماد تغويه الريح وله ميول تحررية.

(تختنق أنفاسه).

علي: افتحوا النافذة ليدخل النسيم ! (يفتحونها).

باديس: لعله الموت يا علي! مرحبا به والنسيم لا أريده، استشعر فيه مويقات الأرض وهي تطير بحرية سافرة، في عهدنا نظن أننا نعطي الحرية للإنسان ولكننانعطيها للمويقات. و نحن المسلمون نتعمد هذا، نحن على عصبية رهيبة، ولم يفلح الدين في تهذيبنا.

يوسف: لا تنس أن تتطرق للموضوع وتخلد للراحة.

باديس: مخيلتي عليلة أصبحت في صراع غير متكافئ مع الموت يوسف!.

لأول مرة في تاريخ غرناطة سوف لا نحترم أساسا من تقاليدها، مرد هذا إلى دورة النجوم البطيئة، لأن بلقين لا زال صبيا، ربحه من السنين لا يفوق العشرة ، أريدك أن تكون وصيا على غرناطة ريثما يكبر.

يوسف: سمعا وطاعة.

باديس: لك من التجارب ما يكفيني شر تزويدك بالتوصيات، عامل الوزير

علي كما يستحق فهو غصن من شجرة وارفة ظللت اسرتنا الملكية منذ سنين ، له مكانة في قلبنا عظيمة أرقى من مكانته في ملكنا ، واستعد لاستقبال المعتمد بن عباد أمير شبيلية! سيحل ضيفا عندنا بعد يومين من أجل عقد حلف ضد الفونسو ملك قشتالة النصرانية. (يصمت)

يوسف: هل من توضيحات!

باديس: اشرع في سياستك من حيث انتهت سياستي!

يوسف: سمعا وطاعة !وماذا عن الأمراء الصنهاجيين!

باديس: البرابرة الدخيلون خربوا الأندلس بقدر يدعو إلى الحزم، إذا كان بقاءهم في السجن يجدي فافعل وإذا كانوا عملة مأمونة القيمة فاطلق سراحهم! شؤون الأندلس بين يديك. اخرجوني من هنا!(مارية وعلي يحملانه ويخرجان).

يوسف: (يجرد سيفه ويضرب عنق بلقين).

(للباقي من الحاشية) لم تنظرون باستغراب ! أبعدوا عني الرأس وحنطوه! لا أريد أن تنبعث منه رائحة الأفكار المحتجة.
(احدهم يحمل الرأس ويخرج) ارموا الجثة لحيوان! إذا دخلت بطنه سوف لا تقدر على الحراك. سأفصل بين عقل يأمر وجسد يستجيب، ليستحيل على الصبي بلقين محاكمتي يوم القيامة.
(تدخل مارية صائحة وعلي يتبعها).

مارية: الويل لك أيها اليهودي السفاك ! قتلت ابني!

علي: لم يقتله، هدئي من غضبك مارية!

مارية: باديس! باديس! انظر إلى نهاية الثقة العمياء! أنظر!

يوسف: اصمتي واحترمي حرمة ابنك الميت ، الصمت هو أجل خدمة نقدمها للأموات. (يخرج شخص من الحاشية)
لماذا لم تبك عند موت اسماعيل! أم لأنه ليس ابنك ؟ منطق الدهاء والحظ لعب لصالحك ، بموت اسماعيل اصبح من حق بلقين أن يتولى الملك.

مارية: (تصفعه) فتكت بابني أيها اليهودي اللعين.

يوسف: قيدوها!

ماريا: (تتوجه نحوه ثائرة فيعترضون سبيلها) لعين، لعين ، كلب.

يوسف: هيا! حرية مزيفة هاته التي تستبيح الصفع في وجهي (يقيدونها ويقفلون لها فمها)

علي: ترفقوا بها لتموت في اسعد حال!

يوسف: (يجرد سيفه) سأذبحك. اتركوا فمها مقيدا وازيلوا عنها قيود اليدين لتموت في عز الثورة. هيا!
(يحررونها ويضربها بالسيف فينفصل الرأس عن باقي الجسد)
هيا! الرأس حنطوه والباقي للحيوان !سأفصل ما أمكن بين الرأس والجسد لكي لا تتحقق خرافة البعث والحساب ، إذا انفصل الجسد تنعدم معه الشهادة على أني الفاتك به.
(يدخل باديس العجوز شاهرا سيفه)

باديس: قتلت ابني وزوجتي ! قل لماذا أيها المنافق!

يوسف: النفاق عملة لا تفارقكم

باديس: أيها الكلب اجب عن سؤالي ! اعطيتك الملك وتقوم بهذا!قل!

يوسف: يجب أن نعتني بك مهما وجهت إلينا من لوم .(إلى المحيطين به) احملوا الملك المخلوع إلى فراشه ! ترفقوا به!

(يدخل الشخص الذي خرج منذ قليل فيضربه يوسف بالسيف ويسقط صريعا)

باديس: بأي حق تريق دماء المسلمين ؟

يوسف: خصاليا فهذا منافق لا يهمني إسلامه. (إلى المحيطين به) ترفقوا بباديس واحملوه من هنا !
(يتهرب منهم ويجري متعثرا ليضرب يوسف بالسيف ولكنه يسمع صيحة اسماعيل فيقع على الأرض مغميا عليه)

يوسف: إنه بحق كان ينوي قتلي ولكن للغشيان سلطة على أمراء الأندلس.(يحملونه إلى الخارج)
صلبوه هنا في قاعة العرش ليكون عبرة لمن يستجيب للكبرياء!
اسمعوا ! من الآن ستبقى بقاعة العرش هذه الأجساد الميتة. ويمكن أن أتقبل أي مكروه إلا هذه النظرات المتحفظة التي تبدو عليكم. إن الحالة التي تسود في عقلي يجب أن تسود في عقلكم. أنتم المسلمون لا تنسجمون مع الجريمة كانسجامكم مع

أشياء أخرى أشد تطرفا.

جندي: هل نحرمه من الأكل والشراب!

يوسف: نعم.

الجندي: حتى الموت!

يوسف: حتى تزول عنه ذكريات الإنتقام البربرية ليس إلا.

علي: نظرة الضيف المجردة هو أن هذا المكان خصص للحكم وليس لاحتواء أطراف بشرية مغصوبة الحياة.

يوسف: كن حكيما ياعلي! تأمل افعالي! أنا يهودي أعرف انفسكم أعمق من معرفتكم بها، كن معاكسا لنفسك وتحرر من تفاهتها كن ضد الأعراف كيفما كانت وسترى الغرائب الرائعة! ان عهدنا متواطىء مع الشيطان ضد الشرفاء، أصبح للفساد جاه ماهو إلا جاه ملك من ملوك الفرس أو امبراطور روماني منذ عهدنا هذا اصبح الاتون على مر السنين في ضيافة زمن مبتذل وأغلبهم لا يعي المسألة ويبقى متخلقا في الأوهام.والجبان الحقيقي هو الذي لم يزعزع ولو عرفا واحدا من الأعراف الرتيبة المستبدة، سيبدأ تاريخ غرناطة من جديد وأدونه بمداد الإعتزاز والفخر.

علي: في قولك مبالغة.

يوسف: لا أحب الجدال في أمر اقتنع به وسأصنف تعليقك ضمن تقويماتك كوزير وإلا فإنه سيربك سيفي هذا، وزيادة على هذا فعلاقتنا التي أصبحت دموية ارغمتني على أن أكون إنسانا في غير أوانه.

علي: إذن افعل ما يحق لك فعله كوصي أو كحاكم.

يوسف: سيهابني ملوك الأندلس لحمرة قصري.

علي: أوافقك في هذه المسألة بكل اعتزاز، أيعجبك هذا ؟

يوسف: بل إذا كنت تناهض حكمي، أعلن عن رأيك دون خوف. يمكن أن أتخذ شجاعتك عذرا.

علي: إني احترم انحرافك لانه نما منطقيا أكثر ومن تم طبيعيا، ولا أمانع فيما تختاره الطبيعة، هذا ما تريد!

المشهد - 5 -

علي أمام باديس المصلوب.

علي: أنتم ملوك الأندلس تتحكم فيكم ظاهرتان، الفشل في الفضيلة والفشل في ارتكاب الجريمة، ربما أنتم شاءت الأقدار أن تكونوا بشرا غير مصنف أخلاقيا بقليل من الشجاعة لو قتلت يوسف لارحتنا من عبء استبداد لم نألفه ، ولكن هيهات!

باديس: لا يهمني هذا .حريتي أراها تافهة أمام حاجتي إلى الماء.
(يخرج باديس مسرعا ويحضر له الماء).

علي: خذ!

باديس: كبل الشرير يداي وصلبني. إذا انهارت دموعي فإني لا أستطيع مسحها بيدي لأعرف إلى أية درجة هي دموع صادقة.

علي: اشرب أولا.!

باديس: نحن المسلمون اقدارنا مثلنا لها خبايا غير ما في ظاهرها ،استبدلت الفطرة بالبدعة ،من استمتاعي بالخمر والحور الحسان إلى محاولتي الإستمتاع بطعم الماء.

علي: لقد تمتعت بما يفوق الكفاية وقمت بأعمال طالحة وأنت في نوبات من الرذيلة، والآن على الأقل فكر في حريتك ، سأحررك وابق في مكانك كأنك لا زلت مصلوبا ، مفهوم!

باديس: فهمت.

علي: السيف مخبأ هنا، إياك أن ترهبك الصيحة التي تقول أنها صيحة ابنكاسماعيل.

باديس: لا عليك.

علي: (يفك قيوده) هذه الليلة سيستقبل يوسف المعتمد وقد كلفنا أربعة جنود على رأسهم السفاك ليباغتوا الآثم ويطيحوا به حيا أو ميتا.

باديس: نتمنى الخير.

علي: أودعك، من جانبك لا تتوان في الإنتقام ، فالليل وفي للغدر والمباغثة. (يبقى وحده وبعد قليل يدخل يوسف وعلي والحاشية وبعض الجنود والموسيقيين).

يوسف: سأطلعك يا علي على كل خطواتنا في تسييس شؤون غرناطة، هذه الرسالة لألفونسو نخبره فيها بأن باديس كان متأهبا لعقد حلف مع المعتمد، وحسب المراسيم فإن اللقاء سيتم اليوم في ليلتنا هذه بالضبط، وفي الرسالة تصريح بأني الحاكم الشرعي المطلق، وللتخفيف من ضغطه ومن ضغط القوى النصرانية المتحالفة، سأبطل الحلف، واودعت في الرسالة كما العادة رائحة من الدم لتهابني سريرته المسالمة.

علي: قم بما تراه يناسب الظرف والمقام أيضا.
(يتسلم الرسالة ويخرج ليسلمها لرسول ويعود)

يوسف: (للموسيقيين) اطربونا بأغانيكم! فليعم الفرح غرناطة كلها والأندلس كلها، أين الراقصة ؟

الراقصة: ها أنذا.

يوسف: استعدي! (للخدم) أنتم ساعدوها في طقوس الخمر!
(تبدأ الموسيقى وبين حين وحين تسقيهم خمرا بمساعدة الخدم)
تمتع يا علي!
(في غفلة من الجميع يحمل باديس سيفه ليضرب يوسف)

باديس: (يركض نحو يوسف كأنه في معركة حقيقية فيسمع صرخة اسماعيل ويسقط مغميا عليه ويرتبك الحاضرون ويسكت المغنون).

يوسف: من حرره!

علي: سأعرف من حرره، لا تهتم بالأمر!

يوسف: من عجائب حظي أن الصدف تحميني بطرق تدعو إلى التساؤل.

علي : على أي بوركت الصرخة.

يوسف: صلبوه!(يصلبونه) أتموا طقوس الفرح!

جندي: انظر إلى الخارج ايها الملك؟

يوسف: ماذا؟ هل القمر قدم لي الولاء؟

الجندي: بل انظر إلى الأرض !(يشير إليه من نافذة) اشباح آدمية تمشي بتحفظ.

علي: أولئك فقط بعض جنودنا أثارت انتباههم الصيحة والموسيقى.

الجندي: إذا كانوا يقومون بالواجب فلم هذا التحفظ يا علي!

يوسف : صدقت أيها الجندي ، ولكن رغم أن الأمر مشكوك فيه فلا تخافوا! استيقظوا من سلميتكم! اريد أن أعرف هوية الأشباح.(يأمر سبعة جنود لتفقد الأمر)
اريدهم جثثا هامدة. (يخرجون)
(للراقصة) اسقني خمرا أيتها الحسناء، هذه التسترات تستفزني!

علي: اطربونا بأغانيكم!

يوسف: لا أحب أن أسمع لحنا ، ارقصي أنت! أريد أن أتمتع بك وبرقصك دون جماليات. إلي بالخمر!
بلادكم المسلمة ميدان خصب للمصلحين والأنبياء، سيحضر المعتمد بعد قليل ولكن إياكم أن يخل أحد بلياقة القصر، هذا هو التقليد الذي أريد أن أتبعه فأريح به روح باديس. تحلوا بمايكفيكم من المجاملة! (يعود الجنود)
ما الأمر!

جندي: قتلنا ثلاثة أيها الملك وفر الرابع.

يوسف: هل تعرفتم على أحدهم؟

الجندي: الثلاثة من قطاع الطرق.

يوسف: حتى قطاع الطرق اصبح يستهويهم الخوض في سياسة غرناطة. المهم هو أن تتجنبوا جميعا الإختلاء بأفكار التحرر، لي كامل الحق في العقاب، أتمنى أن يفهمها كل من يهمه الأمر. (يدخل جندي)

الجندي: المعتمد قادم.

يوسف: هيا! (للمغنين) اخرجوا انتم !(للحاشية) قوموا بما يناسب الضيف؟ سأعامله بسلمية حتى تتضح لي نواياه.

علي: له الحق في ضيافة راقية.

يوسف: سأرحب به بطريقة هي خلاصة عادات ألفتها عربية ويهودية.
(للمغنين) كونوا صفين متقابلين هناك في الخارج حتى مدخل الباب واعزفوا ما جد من الموسيقى!

علي: إنها بالضبط طريقة باديس الإستقبالية .(يصطفون كما أمرهم)
(يطل من النافذة)
الموكب وصل.

(يدخل المعتمد مع صحبه)

المعتمد : السلام عليكم.

يوسف: عليك السلام.

المعتمد : شكرا يوسف ! شكرا علي ! (ينظر باستغراب إلى باديس المصلوب) هذا الإستقبال من سمات الملوك يا يوسف! ما رأيك!

يوسف: بل المنظر شاعري أيها المعتمد.

المعتمد: اظن ، ولكن ماذا حل بالأمير باديس فيصلب هكذا ؟ من صلبه؟
(يصمتون وينظرون إلى بعضهم بعضا)
علي! كيف تحلولكم السخرية من ذوق الضيوف!

علي: كلمتي أصبحت هي السفلى.

المعتمد: هل أنت يوسف عظمت سلطتك إلى هذا الحد ؟

يوسف: سأقول لك تماما. ولكن هل فعلا تتكلم بصفة الوصي على ملك غرناطة أم ماذا ؟

المعتمد: هذه المناظر مستفزة لا تناسب مقامي كأمير، افعلوا شيئا ليستفيق باديس من غيبوبته!

يوسف: بدأت تضع عناوينا لشرفك بصراحة

المعتمد. كن منزها على سبيل التجربة لتقيس مدى شذوذك!

يوسف: كأديب فإنك تلوح بمعان شامخة.

المعتمد: أظن عنادك في الرد لا يتعدى أن يكون عبثا ليس إلا أليس كذلك؟

يوسف: اخطأت.

المعتمد: (بعد نظرات وتأمل في المشهد) المهم أني جئت لأعقد حلفا ،وبما أنكم الخلف عجلوا بمراسيم التوقيع!

يوسف: لازال المشهد ناقصا.

المعتمد: ماذا ؟

يوسف: سأريك المزيد ليكون تعليقك صارما

المعتمد: آ، هذه وقاحة، ولكن أطلب العفو والسماح إذا كان توقعي خاطئا ، هل احسنت التعبير؟

يوسف: انظر ! افتحوا الصندوقين!

المعتمد: (ينظر إلى الرؤوس المحنطة) وقاحة، هذه كنوز رائعة على كل حال لأنك أزلت عن جبين الأندلس بعض الأدمغة الورائية،

يوسف: أنا في بحث دائم عن المزيد.

المعتمد: كم بقي لك لتتمم عقدك الفريد؟

يوسف: رأس واحد بل وترتاح الأندلس.

المعتمد: أقل من قليل، ولا بأس على الأرض والأندلس، سينتهك حق الحياة مرة واحدة واخيرة.

يوسف: شجاعتك نادرة، (حركة خفيفة من رأسه ويتقدم رجاله ليطوقوا رجال المعتمد)

لا تطوقوا المعتمد ! سأمتحن شجاعته.

المعتمد: ماذا تعني؟

يوسف: المبارزة . إذا انتصرت فانت حر.

المعتمد: هل أنا الآن غير حر؟

يوسف: حرية غرناطة ليست هي حرية شبيلية، ولكن أظنك شجاعا في المبارزة كما في حلقات الأدب، اعطوه سيفا!

المعتمد: (يتسلم السيف)استبدادك يغري بالغضب والثورة.

يوسف: رأسك سيكون تحفة غالية .(بعد الإستعداد،يشرعان في المسايفة) (المعتمد يبدو متفوقا ويضرب يوسف ضربة بليغة فيسقط على الأرض) لا أظنك تجرؤ على قتلي ، في نيتي أن مبارزتنا مجرد

استعراض.

المعتمد: تظلمك على الأمير باديس كان واضحا ، سأقتلك.
(يوسف يتصنع النهوض ويوجه ضربة بليغة إلي المعتمد فينحرف عنها ويسقط على الأرض من جديد، والمعتمد يضع رجله فوق صدره والسيف على عنقه)
قل الآن ! في أي سبيل تصنف محاولتك؟

يوسف: لازلت أعتبر مبارزتنا رواية مصطنعة.

المعتمد: سأعطيها عنوانا.

يوسف: (لاصحابه) النجدة أيها اللئام!نتعرض للإهانة في عقر دارنا ؟

المعتمد: إذا تحرك واحد منهم، فالسيف سيشتم عنقك بعبارات قبيحة.

يوسف: هل أنت مصر على ما تقول؟

المعتمد: سأقتلك.

يوسف: سأبقى مواليا لبني عباد ، أعدك.

المعتمد: لم تحترم هذه الرؤوس المقطوعة وبالأحرى الوعود التي هي معنوية لا تقدر على الدفاع عن نفسها.

يوسف: أنا قادر على الإستقامة تحت ضغط السيف.

المعتمد: مصلحة الإسلام وغرناطة تدفعني إلى الفتك بك.(بينما يهم بقتله، احدهم يضرب المعتمد من الخلف ويسقط على وجهه وفي الحال ينهض يوسف ويقطع له رأسه).

يوسف: الأطلال تسقط بصعوبة، أنتم كثرة ويغلب عليكم هذا العبادي المتشاجع!

علي: لا تنس أن المبادرة صارت بين يديه في الوقت الذي أسقطك فيه على الأرض.

يوسف: على كل حال فنجاتي من الموت لذة تستحق التأمل ضعوا رأسه في الصندوق ! حنطوه أولا! علي! احضر الصنهاجيين!

علي: حالا. (يخرج ومعه ثلاثة من الحاشية).

يوسف: أمراء المسلمين عليلون بتمسكهم بالسلطة عندما يطبقونها عن جهل، وهذا هو ما يتغاضون عن الإعتراف به، سأهبهم ما يحلمون

به من السلطة في هذا الظرف بالذات، العطاء عند الجاهلين نعمة مسمومة ، كيف قدرت لي الأقدار أن أعيش بينهم وأنا لا أكاد أشعر بأني بدأت أنسى أصلي اليهودي. (ينتظر وبعد قليل يدخل علي والحراس ومعهم الأمراء الثلاثة)

(يدخلون وينظرون إلى المعتمد ملقيا على الأرض باستغراب)

عبدون: جبين قصركم مشفوع بالغضب ، ماذا حل بكم يوسف؟

يوسف : أنا فخور في هذه اللحظة، فخور بأن أرحب بكم، وبخصوص الغضب فبعد قليل كانت معاملتي لبعض الخونة وحشية ، هذا كل ما في الأمر.

هلال: والآن !

يوسف: بحضوركم أحسست بدافع يدعوني إلى التخصل بخصال الملوك الحقيقيين.

هلال: إذن؟

يوسف: ستحظون بمعاملة طبيعية يا هلال طبعا.

هلال: مناظر يغلب على أسبابها التعسف على ما أظن، أتمنى أن أعرف السبب.

يوسف: هناك أشخاص تنطبق عليهم حكمة القتل، لا أعرف الأسباب، ربما أغبياء، ربما فضوليون أو ربما شرفاء تستبد بهم الأقدار بتواطئ مع الأرذال والخزعبلات.

عبدون: من مصلحة العلم أن نفترض أمرا اخر، أتفهمني!

يوسف: لا يمكن أن يكون ذلك الذي تعنيه، ستعرف مدى استعلائي عنه.

هلال: نحن نعتبر أنفسنا أمراء، وإذا أفصحنا عن نوايانا عارية رغم شذوذها فإننا نعتبر هذا شرفا ، فهمت ! إننا قد نترفع عن العصبية ولكن أذواقنا ترقى وتنسجم في مصالح أكثر إشراقا.

يوسف: أعجبني اعتقادك الشخصي هذا. جيد، سأروي لك أسباب هذه المظاهر، إن أجدادي خدموا بوفاء ملوك غرناطة وكما يتوارث هؤلاء الملك ولدا عن أب ، فإننا نحن كذلك نتوارث خدمتنا لهم. وكان موت نغرالة أبي حديثا لم يمر عنه ثلاث سنوات، وفي عهده

أسر إلى بسر الإنعتاق والثورة ، ما ترونه الآن ثورة كان في ذهن أبي أفكارا وهي في عهدي وقائع ، باديس لم يعط للملك حقه، كان في حقيقة الأمر ضعيفا. وللإشارة كما تعلمون قد صار شيخا ولكنه لغباوته رفض تسليم الملك لابنه اسماعيل الشاب. حتى أنه لتمسكه بهذا الرفض أبدى تصرفا صبيانيا عنيدا ، لقد قتل ابنه إثر نوبة جنون مفاجئة وأعطاني السلطة المطلقة، في الحقيقة كان توقعه خاطئا. أهم ما قام به هو قتله للفقيهين الزبيدي وبن مريم، أعجبني تصرفه هذا ، لأنه هاجم مثالية الجهل في عقر دارها.

مناد : أنت بحكم معرفتنا لا أولوية لك في حكم غرناطة ولذا نستحق نصيبا على أساس أن فريسة وقعت بين أنياب اللصوص ، إن أردت سنحميك من الفقهاء لأن أحدهم لو نبح تظنه العامة يهاجم كلابا تنوي بالدين سواء.

يوسف: أيها الأمراء ! إسمعوا جيدا ! لقد ارتوت دمائي من دماء المسلمين ، ولا حرج أن تستبد بي الغيرة بين حين وحين ضدا في هذه العلل التي تنخر مملكتنا الغرناطية. إن السلطة هذا اللغز المحير هو الذي يضمن لشريف النفس الحقيقي كرامته وإن لم تكن لديه سلطة فالجاهلون لهم امتياز في مظاهر النيل منه، انتم المسلمون لكم علل فكرية تستعصي عن الفهم أتعرفون؟ كل أمير منكم سأعينه قائدا علي أبناء قبيلته بشرط أن لا يراود أحلامكم طيف غرناطة ، فهمتم!

هلال: خطوة حكيمة، فعلا تستحق التقدير. (ينظر إلى الأميرين) لا بأس.

يوسف: بوسعي أن أكون مسرورا لاعرف مواقفكم النهائيةمنذ الآن، حتى لو كانت معاكسة لي فإني سأضطر إلى الإهتداء بأخلاقيات الملوك وإن كنت دخيلا عليهم، إياكم أن تكتموا الخيانة في أنفسكم ! لشد ما يجعلني نفاق المسلمين أتيه في كثرة التساؤلات وعليلا في أفكاري وقواي. أطلب منكم الآن في شبه تضرع من منكم ينوي النفاق فليفصح عن نواياه وستعتبره الأخلاق صريحا وشريفا ، وأنا بدوري سأجازيه بأكثر مما أنوي

مجازاتكم به

هلال: نحن فخورون بأن نتقبل هباتكم بكل شروطها.

يوسف: لا جديد في هباتي وإنما سأحيي عهدكم السالف، كل أمير سأعينه قائدا علي قبيلته، بالمناسبة انصحكم بأن تتحلوا ما أمكن لكم بالقيادة الدينية، ربما تفهمون المغزى!
عبدون! إني أعينك قائدا على رندة معقل بني يفرن. هذه المعاقل كما تعلمون تابعة لغرناطة حسب التاريخ الأندلسي، ونحن لا نعبأ بالتاريخ إذا ارتأينا أنه من المصلحة أن يدافع كل منكم عن إمارته ، ولو أنه من المستحسن لدي في هذا الوقت بالذات أن تبقى صلتكم بي مثينة . حاولوا أن تغطسوا أحلامكم في بحار الدين، إنه مطية كبرى، إنه كما قال لي أحد المسلمين من أبناء ملتكم هذا المسلم الذي ما يثيرني فيه هو أنه ظاهريا يتبع الفرائض ويحدث بالنصيحة ولكنه خسيس ومنافق في أفعاله بحيث يلهث كالكلب المسعور وراء الغنائم ، أقول أن هذا المسلم بعدما علقت على أفعاله بقلق وطلبت منه أن يتخلى عن رداء الدين ليكون أحاديا في شخصيته قال لي بمنطق لم يفطن إليه ارسطو أن الدين عندنا ساحة واسعة لنا كامل الحرية في أن نخط فيها خطوطا قبيحة المعنى والمهم هو احترام جوانبه ، وزاد قائلا بأن الدين لا يفهمه إلا من خلق بنوايا شيطانية، والشريف بخلقه لاحظ له في شيء. مارأيكم في أقوال هذا المسلم !

هلال: في الحقيقة أنا أتفق معه بشيء من التحفظ لأني كما ألاحظ فإن المنافقين إذا تزينوا بادعاء التدين، فإنهم يبلون البلاء الحسن .

يوسف : هل تتفقون معي على أن الطبيعة نسيت إعطاء الفرصة لشرفاء الطباع؟ تركتهم بين الزوابع لا يفلحون في التحلي بالصفات السائدة ولا يقدرون على التحرر من ربقة شرفهم الخصالي الملازم لهم.

مناد : هذه أمور لا تهمنا يا يوسف.

يوسف: لا أيها الأمراء. هذه أمور تتعلق بنا جميعا . أنا أكره التظاهر بالتدين إلى حدود المقت والكراهية. خير للمرء معرفة دين ربه

من خلال مناقشته من أن يجهله من خلال التظاهر بمعرفته. في الحقيقة مثل هذه الأفكار تجول في خواطر العلماء وليس في خواطر الجهلة.
المهم ها أنتم اصبحتم ملوكا من جديد بشرط أن تبقى صلتكم بعرش غرناطة متينة، لكم أمانيكم التي كنتم لا تدخرون جهدا في تحقيقها، من ظلام السجن إلى نور القصور، ما رأيكم؟

مناد: نتلقى هديتك بكل فخر.

بوسف: (لجنوده وحاشيته المحيطين به) فكوا أغلالهم وجهزوا لهم مواكبا من النصر ليعودوا إلى أبراجهم!

هلال: لرد الجميل عندنا نحن المسلمون قيمة خاصة، تدخل هذه الخصلة في باب الكرم والغيرة وأشياء أخرى على ما أظن والله أعلم المهم يا يوسف سندافع عن غرناطة الأم بكل جهدنا إن شاء الله.

بوسف: (يقاطعه) مشيئتك أنت لا مشيئة الله، العلاقات التي تجمع بين الناس غابوية تسير وفق خط حاد لا دخل لمشيئة أحد فيها. أنا وضعت عليكم الآن شروطا وهي نوع من القيود فرضته على مشيئتكم.

هلال: سندافع عن غرناطة بكل قوتنا ، أنا من الجنوب الغربي وعبدون من الجنوب الشرقي ومناد من الوسط.

بوسف: أنت هلال ابديت فضولا قياديا، خصلتك هذه تلازم الطموح ، لذا اتمنى أن يهبك مناد وعبدون (ينظر إليهما) ولو يسيرا من الإنقياد لأن حالة الأندلس تتطلب الإكثار في المحالفات ، لك واسع النظر في اختيار عدد الجنود لكل ثغر وقصبة، هنا أريد أن أوضح اكثر أن كلمة محالفات في نظري تعني ذلك النفاق الجائز في المعاملات الرسمية وليست له حدود وضوابط.

وسنصوره على شكل إنسان له أخ طموح مثلا وله صديق على رأس مملكة ، إنه يقتل أخاه بالسم ليستولي على سيفه ويقتل به صديقه الأمير، وتنتهي ليلة الحلف بالدم والبطولة ، بهذا المبدإ أتمنى أن تنظروا إلى الممالك الأندلسية.

هلال : كن على يقين من ولاءنا لك.

يوسف: إياكم أن يختلي بكم الغرور وتنظروا إلى مملكة غرناطة بنظرة فريسية . إنكم من فصيلة أمراء الأندلس المفروشة قصورهم بالآمال الوردية، تجركم الأحلام إلى جحيم غير غفور بالمرة.

هلال: نتمنى أن توحي إلينا قصورنا بالدماء كقصرك هذا.

يوسف: والسلام.

(يخرجون ويرافقهم الجنود والحاشية)

الفصل الثاني

المشهد -1-

يدخل علي عند باديس المصلوب.

علي: باديس! باديس! أيها الأمير باديس!(يحركه بيديه)

باديس: (مذعورا) ماذا؟ علي! اتركني ! كنت في نوم ما هو إلا نوم الأموات .

علي: استفق ياهذا! تنهال عليك فرص الحرية في شبه استرسال ولا تعيرها اهتماما !لا أقبل منك هذا .

باديس: أوه! إلي بالماء أولا.

علي: طبعا سأحضره، ها أنذا. (يذهب وبعد قليل يحضر له إناءا ويشرب)

باديس: حرم علي اليهودي أبسط الحقوق . الماء أشربه خفية. لماذا ينكل بي هكذا! ما هذه المبالغة في الأقدار؟

علي: اسمع! سأمهد لك طريق الإنتقام ، ولا أحب بتاتا أن تضيع الفرصة.

باديس: كن على يقين بأني سأتحرر.

علي: سيأتي اليهودي هذه الليلة بالساحر ، وقد كلفت من يتستر في أركان القصر ليلعب دور الشيطان بطريقة جدية غير متسمة بالتردد ، والمطلوب منك هو أن تنتقم في اللحظة التي تراها مناسبة، إن الساحر سيحاول أن يلهي اليهودي عن ملاحظة تأهباتك.

باديس: تيقن من نجاحي!

علي: إذا فشلت لا تلق المسؤولية على صرخة ابنك ، سأفك قيدك واذهب إلى سبيلي، كلمتك الأخيرة أيها الأمير!

باديس: سأشتري حريتي بالسيف.

علي: هاهو السيف هنا ، سنرى.

باديس: أعانك الله، اذهب!

علي: ليكن طبعك وحشيا فتنفذ الإنتقام دون رادع من ضمير ، انتم أمراءنا الأندلسيون تافهون، جعل منكم العيش في القصور حمامات وديعة تغار من مشيتها وتثير في الأجنبي أبسط الغرائز الوحشية، من حسن الحظ أنكم تعيشون بين شعوبكم وهي كالوحوش المتضاعفة، تدافع عنكم دون أن تفكر في افتراسكم لما فيه مصلحة لها ولكم وحتى للطبيعة التي تحب الإنتقاء.

باديس: لا تقل هذه الكلمات يا علي!

علي: تذكر نصائحي! سأخرج. (يخرج)

(بعد قليل يدخل يوسف صحبة الساحر ويوقدان النار فيعم الدخان والأبخرة القاعةبأكملها).

الساحر: إفعل بسرعة ما أقوله لك! وعند انتهاءنا سأفسر لك بعض الخبايا المتعلقة بالسحر.

(يردد كلاما غير مفهوم ويشير بحركات بيديه)

يوسف: لي ميل قوي إلى ارتكاب الفجور دون سبب، الكتب الإصلاحية أمقت عتابها وأتمنى لو كانت لي القدرة على جمعها ، واحرقها أمام زبناءها وأنهي هوايتي بحرقهم أيضا.

الساحر: صدقت.

يوسف: هذه العوائق لن تزعزع ملكي المرتقب، لأنها هدير لا يتجاوز السطور، ليس هناك ماهو أضعف من الفضائل ، كل وصاياهم إنذارات نابية تحسد الفجور وأهله ولكنها تدور حول نفسها دون طائل.

الساحر: على ما صادفته من التجارب والإقتناعات ومقياسا على شيء بشيء فعملنا شريف والشر شريف والرذيلة شرف، ومن يذبح الأخلاق بتواصل فإنه متجه نحو سر الفلاح الأعظم. كشف الأبخرة يا يوسف!

يوسف: (يكشف من الأبخرة ويتعالى الدخان) إني دوما أستغيث بالفساد ليهبني ولو قليلا من التشبه بهذا الإنحطاط المريب. أريد أن أخرج بنتيجة وأنا فخور بأن الفساد حزب له قواعد للدفاع عن

نفسه ولا يرضى بالتابعين الضعفاء، كل طموح يصير عظيما بالجد

(يصمتان ويتأملان عملهما باستياء)

لا نتيجة أيها الساحر.

الساحر: سحري بدأ في الأفول على ما أظن.

يوسف: مؤخرا بدأت اشعر بأن الزمن اصبح منطقيا لا يؤمن بالشعوذة.

الساحر: انتظر لنر هل باديس لازال مصلوبا !

(ما ان يتم كلامه حتى يحمل باديس السيف ليضرب يوسف فيصيح الساحر ويقع باديس على الأرض مغميا عليه)

أخطأنا، لم نراقبه، ولكن لابد من الأسس.

(يطوفان حول باديس بالأبخرة)

عندما أشير إليك قل ما تريده بكل حرية، اتفقنا!

يوسف: بدون شك.

الساحر: باسم السحر، باسم الأسرار، باسم الفساد ، اف للفضائل!

إنها ضعف، ضعف، أف لهم ولعالمهم العليل (يردد كلمات غير مفهومة ويشير إلى يوسف).

يوسف : لماذا يصطنع الأمير المسلم الوقار مع الغرباء ويجاهر بالنقيض مع ابناء ملته وحتى مع نفسه! اريد معرفة هذه العلة . اريد معرفة ما تنطوي عليه انفسهم من شروق وغروب. اريد أن أعرف فقط.

وإذا اشرت إلى علة فإني لا أريد أن أكون مصلحا، لأن المصلح الحقيقي هو الذي يؤدي رسالته بالفجور المماثل، المصلحون حمامات ضعيفة تتمنى الكمال دون طائل. تنام فوق النيران وتحلم أحلاما افقدتها حاسة الألم الطبيعية.

الصوت: (صوت وقور جدي) أنا شيطان صامت منذ عهد قديم وها أنذا أعيش من جديد ، لم أعرف أن للبلاهة سيادة على المسلمين إلى هذا الحد.

الساحر: مرحبا بك ، لا تقترب إلى عالمهم ، اكتف بالإطلاع على الأسرار عن بعد!

الصوت: إنها مشيدة فوق بنيان عظيم.

الساحر: حدثنا عنها! لا نريد حديثا يميل إلى التقويم.

الصوت: أرى في المرآة ثلاثة أمراء صنهاجيين، نواياهم مجسدة أمامي بشكل سافر ويشذ عنهم هلال صاحب رندة، لكن لماذا؟ لأن الأنفة تتجاوز انفه إلى السيف، يريد القضاء على اليهودي يوسف باسم الدين وينوي عقد حلف مع صمادح صاحب ألمرية، أما شعلة تلك المرأة التي يجعلها شقيقها عملة بين المسلمين فإنها تميل إلى هلال، تميل إليه ميلا لا يعني تقارب الأفكار ولكنها تحاول ابعاد تحالفاته مع صمادح وأي أمير آخر بقصد تهييء طرق الفلاح له. تهيء له السيطرة على غرناطة لتختلي به..

يوسف: وما هي نتيجة هذه المحالفات ؟

الصوت: ليس في مقدوري أن أطلعك على ما سيكون، بالمقابل اطلعك على نوايا مبعثرة هنا وهناك، لها أسباب تبدو ضبابية ولكنها تحت حمية الأقدار، والشيء السيء أنها في شباب كبريتي ، تنفجر لاقل سبب حار وتنضج في جنون، هلال هو الحطب المرهف الذي تحبه النار.

الساحر: اسأله لماذا ؟

يوسف: لماذا وكيف؟

الصوت: لا أعرف، ولكن سأسألك أسئلة حكيمة، لماذا يسهل على الأمير المسلم أن يفتك بمثيله بعد الإنتهاء من عقد حلف أو مادبة دينية؟

يوسف: أظن.

الصوت: لا ، لان خطوات امراءكم دائما تكون أحادية السوء وغير متكررة .

الساحر: سمعت يوسف!

يوسف: بدأت الأمور تتضح لي، قبل أيام غادر هلال غرناطة وهو مفعم بالفرح لاسترداده رندة، والان يخلق لي سبل الهلاك.

الصوت: في تاريخ القيادة تنمو الأعمال العظيمة المنحرفة آمالا وردية جميلة.

يوسف: وفقت أيها الصوت المبهم.

الصوت: أنا روح فقط، أرى الاسرار اجسادا ضبابية وانتم اعتنوا بها وراقبوها وستجعل منها الأيام حقيقة مخزية. ازرع الفتنة يا يوسف ريثما تبحث لك عن أرض غير غرناطة ترضى بخطواتك الوحشية، سأذهب.

الساحر: عظمت، يوسف! هل اشبعت فضولك الآن!سمعت كل شيء. رتب أمورك إذن من الان وابحث عن المواقف المضادة!

يوسف: سأعجل بتحقيق ردود فعل مناسبة، وداعا للتأني.

(التساحر يجمع معداته ويخرج ويبقى يوسف)

لا أفهم تناقضات هؤلاء الأمراء ، تناقضاتهم خطيرة قد توقعهم حالا في النهاية، اولئك الذين لم يحترموا الحلف لدي الوسيلة السهلة للفتك بهم ، ولكن مع الأسف لا أفهم شيئا. إن بلاهتهم نوع من الأقدار تعرقل تقدمي.

(يدخل علي)

علي: السلام عليكم، هل جادت فريضة السحر ببعض الأسرار؟

يوسف: إليك بالتفصيل.

هلال يسعى وراء القضاء علي باسم الدين، هذا ما يقلقني كثيرا ، لو كانت تدفعه اسباب اخرى كالطموح والطمع والمجد، لواجهته مواجهة الأبطال، والآن إذ يتذرع بالدين وهو الدافع الذي أراه يضيق من طموحات الأبطال فإني سأطيح به بكل الوسائل الخداعية، حتى بتلك التي تخرج عن دائرة السياسة، إنه في لمساته الأخيرة لعقد حلف مع صمادح الألمري،وأوحت إليه الأطماع بإقامة حفل على شرف مناد وعبدون للفتك بهما والإستيلاء على حصونهما لتعزيز ملكه، إن هذه الفعلة التي يهيىء لها تقلل من ميله للدين، إنها فعلة يقوم بها الأشرار ، والأميران من بني جنسه ، يا للعجب! إن جمهور الناس بدوره مغفل بولاءه له، الا ترى معي أن هلالا أمير خسيس بافعاله هاته، إذ يسمح لنفسه بسلخ الدين مقابل اطماع شخصية غامضة! ما رأيك علي!

علي: هذه أحلام لم تنل بعد شرعية الحياة.

يوسف: بداية الحقائق تكون أحلاما صبيانية تتوحش رويدا كلما اقتربت من الواقع.

علي: وكيف ستتحكم في أحلام هؤلاء الأمراء؟

يوسف: (يفكر قليلا) لكي تصل إلى ألمرية اخط خطوتك الأولى من هنا، وابلغ إلى صمادح أن نيل الأهداف بالسلام أحسن من نيلها بالعنف، له عن غرناطة سنتنازل ، عليه أن يهيء جيشه ليحارب الشعب الغرناطي المناهض للتحول المفاجيء كباقي الشعوب.

علي: سأبلغ ما تريد.

يوسف: اصطحب معك السفاح لانه بالجزيرة الأندلسية على المرء كلما حل وارتحل أن يكون مرافقا لسفاك ان لم يكن هو نفسه ، أيام الأمن انتهت ، نحن نعيش اليوم عهد الطوائف ، والأفراد انفصلوا عن مجتمعاتهم واستقروا بالحدود هنا وهناك ينهبون، ومن كان ذكيا يكون عصابة ويغير على الممالك. ونسبة كبيرة من أمراء الطوائف تنتسب إلى هذه الطائفة، أريد رأس هلال. أريد أن أراه أمامي. اتفقنا!

علي: على أي فإني أوافق ولو أن رغباتك هذه مدججة ببعض الغلو في الواقعية.

يوسف: منطقيا فالرذيلة تسبق الإصلاح، دليل كافي لاراقة الدماء.

علي : يمكن.

المشهد -2-

في قاعة مهجورة من القصر

علي ينتظر شعلة وبطل من النوافذ والباب يترقب حضورها (تدخل شعلة)

علي: بسرعة شعلة، سأسر إليك بالجديد.

شعلة : ما الجديد!

علي: إني في هذا اليوم بالذات أتأهب للذهاب إلى المرية كما أمرني أخوك.

شعلة: منذ أيام قليلة بدأت الاحظ بعض الخطوات السريعة. قل لي بتفصيل ما الخبر!

علي: لا. ملاحظاتك خاطئة، فعلا هذه الخطوات بدأت قبل يومين فقط عندما أحضر يوسف الساحر ، لا أعرف هل تنبؤاته صادقة أم لا، والمثير في الأمر أن يوسف يبني خطواته انطلاقا منها. أهم هذه التنبؤات هو الحلف الذي سيوقعه هلال وصمادح ويهدفان به القضاء على نير أخيك باسم الدين، ولهذا أمرني بأن أذهب كما قلت إلى ألمرية واقترح على صمادح التريث ريثما يسلم إليه غرناطة دون حرب.

شعلة: ماذا ؟

علي: نعم ، صحيح ما قلت، وأزيدك اسرارا ربما لست على علم بها، يوسف له اتصالات سرية مع بعض ممثلي اليهود الأندلسيين، لهم أهداف قومية، اتدرين ماذا يخططون؟ إنهم يخططون للسفر إلى القدس للإستقرار هناك، هذا السر يبدو بسيطا في الظاهر ولكنهم يضمرون في أنفسهم أحلاما قاتلة تبقى خطيرة أينما حلوا وارتحلوا، في سبيل هذه الأحلام يبدو أمامه ملك غرناطة متقزما.

شعلة: لست على علم باجتماعات اليهود هاته.

علي: المهم، مرحلة أخرى سأقوم بها هي الذهاب إلى رندة لاحضر له رأس هلال، هذا كل ما في الأمر.

شعلة: رأس هلال! رغبات مضحكة. وهل فعلا قد تقوم بهذا الأمر!

علي: من المضحك أن أفعل، حينها سأتدبر الأمر عندما ارجع،سأبحث عن رأس هلال آخر.

شعلة: اسمع ، قم بما يأمرك به! خواطري معك سواء هنا في غرناطة أو هناك في رندة عند هلال.

علي: عندما أعود سأخبرك بالجديد قبل أن أخبر يوسف.

المشهد - 3 -

مملكة قشتالة

أحد ممثلي اليهود أوفده يوسف لمناقشة الفونسو حول كيفية مغادرة غرناطة.

الفونسو: أنا أرغب في طرد المسلمين ليس باعتبارهم جنسا دخيلا علينا ولكن باعتبارهم سيطروا على أراضينا ليس إلا.

اليهودي: النظرة إليهم على أساس الجنس لها مردود حربي كبير.

الفونسو: مثل هذه الإعتبارات أمقتها، أحبذ أن يكون صراعنا مع مختلف الأجناس صراع المصلحة .

اليهودي: يثيرني حماسهم الديني ولكن تقابله معاملات في غاية الترذيل. وأخاف من سيطرتهم على دول نصرانية أخرى لأن أحلامنا نحن اليهود تكون خصبة عندما تكون النصرانية كذلك.

الفونسو: لا يدوم هذا طويلا لأنه قد يتبدل ، الأيام وبعض المصالح المتوافقة تساعد على إظهاره ، هذا ليس حقيقة ولا يمكن للعقلاء أن يؤمنوا بها.

اليهودي: مهما يكن فإني أنشرح عندما ألاحظ بعض الإلتفاف حول شخصكم أيها الملك.

الفونسو: التفاف الضعفاء بي مرده إلى الإحتماء بقوتي، هذا الولاء لا يعجبني.

اليهودي: المهم في الأمر هو أن أمراءكم يخيم عليهم الشعور بالمسؤولية بين حين وحين.

الفونسو: لا أظن بأننا سنتحد بما فيه الكفاية ، (بعد نظرات) قد يتحقق الإتحاد بيننا ، ومن يدري! الإتحاد رهين بأخطار العدو.

المسلمون يعتمدون كليا على الحماس الروحي الذي يحبط كلما واجهته حيلة من حجم واقعي تام، لا يخيفني الإندفاع.

اليهودي: من أسباب النجاة ألا نخاف أمام تحركات العدو. انتفاضة المسلمين خصلة لا تخضع للديمومة.

الفونسو: طبعا، كيفما كانت قوتهم فإني سأسلح قوتنا بدوافع واقعية تسحق الأوهام.

اليهودي: إننا نشاهدهم في صولات رهيبة ترتج لها المسيحية واليهودية.

الفونسو: مهما كان فإني لا أحب أن يظن أحد بأني أحاربهم تحت دافع ديني، مثل هذه الإعتقادات لا أو من بها بتاتا، ومن السخافة أن يحمل المرء سلاحا في سبيل نشر فكرة تفقد القوة إذا فصلت عن مقالها، وإني رغم الأحوال أومن باتحاد الأمم النصرانية.

اليهودي: ألا تتفق معي على أن قصدك باتحاد الأمم النصرانية قصد ديني، كنت بعد قليل تتنزه عنه!

الفونسو: أقصد بالأمم النصرانية تلك الأمم التي تجمع بينها حدود جغرافية معينة، إذا كانت طبيعتنا في الحياة ترغمنا على الولاء الديني فإني أفضل الولاء للحيوانات على الولاء لغيرها. أتفهم!

اليهودي: فقط أنت تسير في فلك ديني رغما عنك والإختلاف هو أنك تعطيه تفسيرات أخرى.

الفونسو: كل المظاهر والتفسيرات أعرفها، والمهم في أمرنا هو أني أفضل أن يبقى اليهود متفرقين هنا وهناك لأنكم مطية توصلنا إلى أهداف بعيدة المنال، فقط أنا أومن بحقيقتكم كيفما اتفق وحسب الأحوال أيضا، أتعرف أني أفضل إقامة علاقة طيبة مع يهودي في دولة مسلمة ولا أفضل إقامتها مع الدولة التي تأوي هذا اليهودي، المعنى في غاية البساطة ستعرفه مستقبلا.

اليهودي: ولكني كسائر اليهود أتبرأ من شعلة أخت يوسف، أظنها تمشي في اتجاه يضر بمصالحكم ومصالحنا.

الفونسو: لا يهمنا هذا، على أي فهي تتبع خطوات عشوائية في غير صالح الإسلام، أنا اتتبع كل مراحل الفساد التي تمر منها الأندلس المسلمة وخصوصا غرناطة، لأن يوسف يحمل آمالا يهودية مستقبلية، كذلك أعرف الصنهاجيين وعلى رأسهم هلال وأعرف المعتمد أمير بني عباد الذي قتله يوسف وأعرف أيضا الفقهاء، وسبيل هؤلاء مخالف لسبيل أمراءهم، أما الأمير الهرم باديس فقد وصلتني الأخبار عن بعض أقداره المضحكة، قصة انتقامه مسلية.

اليهودي: كلما حمل السيف ليقتل يوسف فإنه يسقط على الأرض مغميا عليه. ويقال بأنه قبل الإغماء يسمع صرخة ابنه اسماعيل.

الفونسو: أعرف الحكاية جيدا، هذا يمكن اعتباره جنونا.

اليهودي: يمكن.

الفونسو: أحيانا أرى باديس مثل أمة فانية تحارب اقدارها بشجاعة. (يصفق بيديه)

اليهودي: أمره غريب أيها الملك، إنه فقط يؤدي عقاب الجريمة التي وقعها في حق ابنه اسماعيل. (يدخل احدهم)

الفونسو: طيب. (يعرف بينهما)

(لليهودي) إنه من علماء الرحلات الذين تعتز بهم مملكتنا القشتالية، ولهذا لم تكن هوايته لرسم الخرائط صدفة، إنه منهمك في رسم خريطة لدولة يهودية في غاية الطرافة الهندسية. ماريبو! إذا أردنا، نأمره بان يختار موقعا جغرافيا مناسبا ونختار بدورنا بشرا معينا ونضعه في هذا الموقع ليصبح بدوره أمة لها لغوها، إن أهواء المستبدين تسير بالأرض نحو التجزء. (ماريبو) من كبار التجار الغرناطيين اليهود، جاب مثلك مختلف جهات الأرض ولكنه فهمها فهما تجاريا، هوايته أصبحت قومية.

ماريبو: نعم الهواية أيها الملك الفونسو. كلنا آمال.

الفونسو: (لليهودي) ماريبو من أصل يهودي.

اليهودي: ستضطره الامال المشتركة إذن على العمل بإخلاص، ما العمل الآن بكل تدقيق ؟

الفونسو: سيطلعك ماريبو على الخريطة ولكما الإختيار في التعديل، سأنشر بيانا سريا يحض يهود مملكتنا على التفكير في وطنهم المستقبلي. (ينشرون أمامهم خرائطا عديدة)

المشهد - 4 -

(علي في إمارة رندة يريد أن يدخله جندي عند هلال)

علي: إلى أين تذهب بي الآن!

الجندي: عند هلال بالطبع.

علي: من هم ضيوفه؟

الجندي: مناد أمير مورور وعبدون أمير أركش.

علي: سأنتظرك هنا، اذهب واخبره عن قدومي سرا، إذا رأى مصلحة في اجتماعي بالضيفين فالرأي رأيه.

الجندي: سأفعل. (يذهب وبعد قليل يحضر الأمير هلال)

هلال: أهلا بعلي! نصيبك من الحوار مع الأمراد الأندلسيين أكبر من مسؤوليتك الوزارية الداخلية.

علي: لا فرق بينهما يا هلال، إن تباينا فهما يصبان في منحدر واحد.

هلال: مهامك الخارجية ستكون مفيدة لغرناطة في هذا الظرف العصيب.

علي: أحاول جهد الإمكان عرقلة أطماع اليهودي ريشما يفهم الأمراء موقفي ويتخذوا رأيا حربيا.

هلال: لهذا تزورني مزودا بوابل من الأسرار! أليس كذلك ؟

علي: المراسلة بيننا جعلتنا نتبادل الحياة في الوطنين، وإذا كانت أوامر من يوسف فإني أحضر بنفسي كما الآن، وحتى هذه اللحظة لازال عالقا بأقدامي تراب المرية.

هلال: ما السر وراء زيارتك لها!

علي: زيارة ألمرية مبادرة شخصية لا علم ليوسف بها، اجتمعت بصمادح واقنعته بعدم التسرع في مهاجمة غرناطة.

هلال: هذا فيما يخص ألمرية، وزيارتك لي؟

علي: طلبات يوسف دائما فيها مكروه ، إنه يريد رأسك.

هلال: إنه حديث العهد بالإمارة لا يعرف ما يريده بالضبط، وماذا تطلب

مني أن أفعل بالضبط؟

علي: نفذ ما آمرك به ليبقى اليهودي في ثقة من أمري ! اسمع جيدا! إنه على علاقة بيهود الأندلس، هدفهم هو الرحيل إلى القدس تحت حضانة الفونسو ملك قشتالة، في هذه الأيام الأخيرة بدا يوسف منهمكا في جمع كنوز ومتاع غرناطة، والشيء الأكيد أنه على علاقة بالفونسو الذي يعمل جاهدا من أجل شن حملة صليبية على الأندلس وتحريرها من العرب.و ليأمن شر أغلب الأمراء، فإنه ينوي تسليم غرناطة لمناد وعبدون على سبيل القرب الجغرافي والتبعية السياسية مقابل كبحهما لجماح الغرناطيين ريثما يضمن دخوله إلى قشتالة آمنا شر المسلمين.

هلال: هذه الأندلس لن يدوم فيها بقاء للمسلمين ، لأن رياح الصليبية تتأرجح بين حين وحين ، سألح على مناد وعبدون لنهجم على غرناطة هجمة فاصلة.

علي: قم بالأمر وحدك!

هلال: الإتفاق الجماعي يقينا عقدة الطموحات الشخصية.

علي: لن يتحقق هذا لأن نوايا كل أمير هي نوايا استبدادية.

هلال: وماذا تطلب مني بالضبط ؟

علي: الغ ما سبق!

هلال: الإلغاء أمر يسير. لابأس.

علي: واقتلهما أيضا!

هلال: القتل أمر عسير لا أقدر على تنفيذه وليس له مبرّرٌ واقعي.

علي: هلال! هلال! انصت جيدا! الفضيلة والحكم لا يجتمعان في شخص واحد. الأمير الأندلسي ارتقى درجات ليكون أميرا وكل درجة خطاها هي خصال سحقها بخطواته، وهل تريد أن تبقى حيث وجدت؟ بالطبع لا ، بداية حياتك هي الملك، لذا عليك أن تطمح في أشياء أخرى، مثلك عليه أن يسحق الأندلس ببشرها تحت قدميه ولا يكفيه هذا.

هلال: تطلب مني المستحيل، لا ألمس هذه الشجاعة في نفسي. (بعد

صمت) اسمع علي! مناد وعبدون افعل بهما ما تريد ! اذهب إليهما!

علي: (يشير إلى جندي ويدخل) ليدخل مرافقي!
(يذهب الجندي وبعد قليل يدخل السفاك)
(للسفاك) القتل مباح ، هنا في رندة رؤوس أينعت في غير تربتها الأصلية.

السفاك: لا حرج أيها الوزير.
(يتغير المشهد ويدخل السفاك وعلي وهلال عند الأميرين)

عبدون: أهلا بعلي! صرت تفضل رندة عن غرناطة.

مناد : مصير واحد يجمع ممالك الأندلس وبالتالي حياة واحدة.

علي: هذه هي الحقيقة.

عبدون: والشيء الرائع هو أن تجمعنا وليمة واحدة عند هلال.

علي: نعم الوليمة يا عبدون. (ينهالون على الأميرين بالضرب)

هلال: أوه ! لم أألف مثل هذه الخروقات.(لجندي) ارفعوا من الموسيقى!
(يخرج الجندي)كانت فرحا بقدومهما وهي الآن حزن على رحيلهما.

مناد: ماذا تفعل بنا يا علي!

علي: كل شيء عادي ببلادنا.

عبدون : بل حريتك هنا في رندة اشنع منها في وطنك.

علي: الأحوال هنا في رندة توحي بضيق النفس، لهذا فالحرية غير مستقرة.

مناد: لا تقتلونا! هل تطمعون في الملك! أنا مستعد لأن أساوي بين حياتي وملك اركش.

علي: في هذه اللحظة يتساوى الإنتقام والمسالمة.

هلال: (يطل من الخارج) ارفعوا من صوت الموسيقى! (يقطعون رأسيهما بعد التعذيب)

علي: اعط الرأسين للخدم!(السفاك يحمل الرأسين ويخرج ويتبعه جندي) سأقدمهما ليوسف ليتأكد من خدمتي له.

هلال: ليتسع موطن الجريمة ليس إلا.

علي: الجريمة تسع كل القلوب.

هلال: ما رأيته الآن قلما تحقق مثله في مكان من الدنيا.

علي: لا زالت تنقصنا خطوة واحدة.

هلال: كيف؟ ماذا تريد ثانية؟

علي: اقطع رأس السفاك!

هلال: ماذا تقول حكمتك في قتله؟

علي: يوسف يريد رأسك بأية وسيلة، وهذا ما ينتظره من زيارتي.

هلال: والحل!

علي: اشتر حريتك بالسيف، اقتل السفاك!

هلال: أنا الآن في وطني وتأتي أنت من غرناطة لتبيعني حريتي! ما هذا اللغز يا علي أو ما هذا التطاول!؟

علي: ذوو الغرور كيوسف يرونك هدفا فيدمجون أسبابهم بأسبابك دون أخذ رأيك ، وغالبا ما تكون الأسباب سيئة. من ليست عنده أحلام الغرور يدفع غالبا ثمن المروءة.

هلال: ما المعمول الآن؟

علي: اقتل السفاك وأنا سأشوه ملامح وجهه.

هلال: اقتله أنت؟

علي: لطخ مسيرة ملكك بالدم! الطهارة ضعف، (يدخل السفاك ليحمل الجثتين)

هلال: طيب. (يباغته هلال بضربة السيف ويشوه ملامح وجهه) خنت طباعي تحت أمرك، هل أعجبك هذا؟

علي: جهز لي الموكب لأغادر رندة!

هلال: إذا هم يوسف بالرحيل إلى قشتالة أرسل إلي في الحين.

علي: اشرع في تهييء نفسية الجنود وبقية العمل يحققها السيف.

المشهد - 5 -

غرناطة ، في القصر.

علي: (يقدم ليوسف رأس السفاك مشوها) هذه خلاصة سفري إلى رندة. (يزيل عنه الغطاء)

يوسف: لماذا شوهت الملامح هكذا ؟

علي: حينها كان السيف نجيبا وكل ضربة ترفض أن تتمتع بالنصر دون غيرها.

يوسف: أحبذ لو أبقيت الوجه على نواياه الأولى.

علي: لم أستطع أن أرغم نفسي على قتله بطريقة عادية.

يوسف: حنطه كما العادة، لابأس.

علي: إنه محنط ، (يحمل الرأس ويخرج ويصادف شعلة)

شعلة : انتظرني ! (يجيبها بحركة من رأسه)(تدخل عند يوسف) رسول يريد لقاءك.

يوسف: ليدخل!

شعلة: تفضل! (يدخل الرسول)

يوسف: (يتساءل) رسول خير، قد يمكن قد لا يمكن!

الرسول: السلام عليكم.

يوسف: من المنفعة أن أقول لك ما الخبر.

الرسول: معي رسالة من صمادح.

يوسف: تفضل ما المعنى! ولو أن الوزير علي لازال عالقا بأقدامه تراب ألمرية.

الرسول: لم نر له أثرا.

يوسف: لا أظن.

الرسول: علاقتنا بكم تدعو إلى الوضوح والجفاء. قد أمرت بأن أنفذ

أمرين بكل أمانة.

يوسف: افصح عنهما!

الرسول: انذرك بالنصيحة أولا ثم تتسلم الرسالة وتقرأها أمامي ثانية.

يوسف: ماذا تقول نصيحتكم يا ترى؟

الرسول: تنازلوا عن غرناطة ! خذ الآن الرسالة فيها كل شيء.

يوسف: (يتسلم الرسالة و ينتهي من قراءتها) علي أخل بالأمانة في هذا الظرف بالذات. لاشك في خيانته، سأوضح لك بعض الغوامض لتنقلها واضحة إلى صمادح ، إن لي اتفاق معه على أن أسلم له غرناطة في وقت حددناه. ربما أني لم أحترم الوقت، فقد أوفدت عليا لينقل إليه عذري على أمل أن نحدد وقتا آخر آخذين بعين الإعتبار الوضعية الحالية التي لا تسمح لنا بالتنفيذ. صمادح ظن بنا سوءا ومن خلال رسالته أصر من جديد على أخذ غرناطة بالسيف.
لهذا سأخط إليك رسالة لتوضيح الأمور.

شعلة: سأخرج.

يوسف: تفضلي. (للرسول) عفوا، أختي شعلة.

الرسول: أتشرف. (تخرج وتنصت إلى بقية الحديث)

يوسف: (ينتهي من الرسالة) خلاصتها أني قررت تسليمكم غرناطة دون سيف(يتسلم الرسول الرسالة)

الرسول: ولهذا!

يوسف: ولهذا عليه أن ينظم جيشه ليحارب أهالي غرناطة.

الرسول: جيوشنا مستقرة في الحدود.

يوسف: كم عدد جندكم؟

الرسول: عشرون ألفا.

يوسف: ماذا تقول؟ في علمي عشرة آلاف فقط.

الرسول: بل عشرون ألف سيف ينتظر سوء النية ليهجم.

يوسف: ريثما أجمع متاعي وأرتب الأمور سأخبركم.

الرسول: اسرع في ترتيب أمورك! سيختار صمادح مدة زمنية وإذا لم يتحقق عند نهايتها شيء فإنه سيهجم على غرناطة.

يوسف: طيب.

الرسول: هذا كل ما في الأمر.

يوسف: لا يهمني هذا، تفضل!
(يخرجان وينتبهان عند سماعهما لحديث سري بين شعلة وعلي)
اسمع!

الرسول: كلامه معبر.

يوسف: إنه بحق منافق، مذنب في الخفاء والعلانية.

الرسول: الأحاديث الخفية مثل هاته تكثر في البلد الضعيف وتقرر مصيره المحتوم.

يوسف: ما رأيك فيه؟

الرسول: بين النبل والنفاق هذا الستار طبعا. (يشير إلى الستار)

يوسف: (يباغتانهما) (لعلي) أنت خائن، سوف لا أعاملك بالسيف. إن أمكن فإني أحب أن أجعل عدوي عبرة أمام الأنظار، سأراقب نمو حقدك الدفين منذ الآن في انتظار زلة أخرى.

علي: ظروف متواطئة جعلت من هفوتي خيانة بارزة.

يوسف: تبرىء نفسك بكل هذه الوقاحة!

علي: قمت بما طلبت مني ولكني فقط لم أرتب الأمور فظهرت ركيكة المعنى. ولكن رغم كل شيء فإني اعتذر.

يوسف: تدفعك إلى هذا الفضول أطماع متسخة. أعرف هذا جيدا.
(للرسول) خذ معك شعلة كرهينة!

الرسول: أنت رهينة لأن الجنود يطوقون غرناطة من كل جانب.

علي: للرسل بلاغة في التأثير على كبارهم دون حاجتك إلى المغامرة باختك وزوجتي.

يوسف: إن شئت أن تسمع يا علي فأنا في موقف الآمر، بإمكاني أن ألغي عودتها إلى الأبد. (يخرج علي)

شعلة: تحيرني غباوتك، ورثتها أم تعمدتها ؟

يوسف: (يصفعها) أنت رهينة، صف أنت لصمادح حسن نيتي!

الرسول: أدركت نواياك. من مهامي أن أبلغها كما هي.

شـــعلة : بعـــتني مـــرتين أيهـــا الكلب الخـــائن، مـــرة لعلي والآن لصمادح. (يصفعها من جديد)

يوسف: اخرجي معه! (يصفق بيديه ويدخل ثلاثة جنود) قيدوا شعلة فهي رهينة ورافقوا الرسول إلى ألمرية!

المشهد -6-

القاعة التي يوجد بها باديس مصلوبا ، يدخل يوسف وعلي وراءه يحمل رأسا محنطا.

يوسف: ضع الرأس هنا!

علي: هاهو بالقرب من باديس.

يوسف: نعم، ضعه أينما اردت، المهم هو أن تعطيني السيف.

علي: (يفتح صندوقا بعيدا عن باديس ويعطيه السيف) خذ!

يوسف: (يضرب عنق باديس) لماذا تدير وجهك ؟ هل إحساسكم مشترك أنتم المسلمون ؟

علي: للمشهد تأثير على كل الأجناس.

يوسف: أتمنى أن تكون الدماء هي العلاقة التي تجمع بين الأجناس لنشعر نحن اليهود بانتماءنا إلى الآخرين، احمل الرأس ليحنط!

علي: حالا. (يحمله ويخرج)

يوسف: وارم بالجثة إلى أسد خاوي العرين!

علي: حالا. (بعد قليل يعود ليحمل الجثة) رسول صمادح يريدك من جديد.

يوسف: ما الجديد يا ترى ؟ رسالة منه!

علي: لا أظن.

يوسف: ليدخل! (يخرج علي ويدخل الرسول)

الرسول: (ينظر إلى الدماء) ما هذه الحرية الشنعاء؟ دماءنا صارت رخيصة إلى هذا المستوى؟

يوسف: قل ما تقصده واصمت!

الرسول: لا يهم ، خذ ! وجدناها عند شعلة بعد قليل ، رسالة موجهة من هلال إلى علي بواسطتها ، عجبا كلكم قيل وقال.

يوسف: (يقرأ) " علي! توصلت برسالتك، أنا الآن في طريقي إلي فتح

غرناطة من نير الطاغية اليهودي، التوقيع هلال"

لا أستغرب من هذا ، يعيش المسلمون علامات كثيرة، تدخل في إطار الفساد السحيق.

الرسول: غرناطة أصبحت هبة مسمومة ينعق عليها الأمراء من كل جانب. رأي خاص ليس بالضرورة هو رأي صمادح.

يوسف: كلكم يعلق حسب هواه ولو أن أمثالك ليس لهم الحق في التعليق على مجريات الأمور.

(يضربه بالسيف)

علي: (يدخل) امرت بأن يحنط الرأس.

يوسف: احمل رأس الرسول ليحنط بدوره!

علي: وصلك منه الأذى؟

يوسف: الأذى! نعم وصلني منه الأذى، احمل الرأس ليحنط قلت!

(يتكىء ليحمل الرأس فيضربه بالسيف) لئيم ! لئيم! قتلتك في شبه سجود. تبا لكم ولسجودكم.

المشهد -7-

نقطة في حدود غرناطة، بناية خصصت كمأوى للجنود بها متاع وكل ما استطاع يوسف جمعه من الذخائر، وغير بعيد يوجد جمع كبير من اليهود.

يوسف: مرحبا صمادح، مرحبا أيها الوزراء، مرحبا بالجميع.

صمادح: نظن أن كل شيء على ما يرام، هذا هو ما يهمنا.

يوسف: كل شيء على مايرام ، أنا الآن في ذمتكم ، أشير إلى أني قد قتلت رسولك.

صمادح: قتلته فقط!

يوسف: بكل صدق.

صمادح: أعرف لماذا قتلته و لا حرج في قتل المتخلفين عن سبيل الملوك. (ينظر إلى الجمع) هل هذا العدد هو كل ما كانت تتوفر عليه غرناطة من يهود ؟

يوسف: تخلف عنا خمسون يهوديا تقريبا فضلوا البقاء في غرناطة. إن خوفي من أهالي غرناطة عظيم، سيدبرون لنا مجزرةلا تطيقها الديانتان.

صمادح: المقاليد بين جنودي . السيف بدوره لا تخيفه الأيادي الثائرة المرفوعة إلى الأعلى.

يوسف: سأفاجئك يا صمادح! (يزيل ستارا فتظهر الرؤوس) انظر! استبحت كل هذا لأسلم لكم غرناطة في هدوء.

صمادح: قل لي الآن ما الأمر! هل انتهيت من كافة طقوس الهروب؟

يوسف: تماما.

صمادح: جيد. (لجندي) احضروا شعلة!

(يخرج الجندي ويرجع ومعه جنديان وبينهم شعلة معصوبة العينين)

هاهي أختك كما هي، فقط معصوبة العينين ولها ميولات غير طموحة لم ترق لي، (يزيل العصابة عن عينيها)

شعلة: (تنظر إلى الرؤوس فيلفت نظرها رأس علي وباديس) قتلت باديس وعلي أيها الخائن! وضع غرناطة يزداد فسادا وأنت تزداد طمعا في الدماء. تستحق الموت.

يوسف: اصمتي ايتها اللعينة! أقوم بهذه الأعمال في مصلحة جنس بأكمله. هاهم يهود غرناطة وجهتنا أرض الميعاد.

شعلة: (تهرب صائحة) مكر بكم يوسف، أهل غرناطة ! صمادح دخل غرناطة، يوسف متواطىء مع صمادح، خيانة.

صمادح: الحقوا بها ! (يتبعها ثلاثة جنود) انظر يا يوسف كيف بدأت هديتك تبدو عزيزة المنال!

يوسف: فقط تريد الهروب لا غير وستلتزم الصمت.

(ينتظرون قدوم الثلاثة بصمت ويعود واحد فقط)

الجندي: أطلقت صوتها للريح أيها الأمير واعتصمت بجمع كبير من الناس. كانت وجهتهم إلينا على مابدا لي، وقد قتلوا الجنديين.

صمادح: حقا ! (مرتبكا) سنبتعد عن أسوار غرناطة تحسبا لأي طارىء، بسرعة!

يوسف: لا تخف، انتظر حتى يلحق بنا بعض الجنود!

صمادح: سنخرج.(يخرج مع أصحابه فيسمع هتاف الأهالي ويختبئون)

يوسف: وراء الأسوار، هيا! (يختبئون ويهم يوسف بالخروج)

صمادح: (يمسكه من ثيابه) إلى أين؟

يوسف: لا هديء من ثورتهم، هاهم بنو جنسي معك.

صمادح: إبق معنا ، جاء سلمك معهم متأخرا!

يوسف: الغرناطيون يقبلون الحوار.

صمادح: قلت ابق معنا! أنا بدوري فصيح اللسان.

يوسف: اتركني لأسليهم بالحوار ريثما تهربون أنتم. هذا أحسن.

صمادح: ابق لنحاورهم بحكم متحدة!

(يضعونه بينهم كي لا يهرب)

(يظهر الأهالي وفي مقدمتهم شعلة)

شعلة: انظروا إلى الفساد ، رؤوس محنطة بكل طمأنينة وغرباء يريدون نزع غرناطة من تحت ارجلكم بمساعدة فاسق، انظروا إلى هذا الجمع من اليهود ، إنه جنس لازال في طور الأحلام. انظروا ! (ينهالون عليهم بالضرب حتى الموت)

(يقف هلال مع وزراءه وجنده وتظهر عليهم آثار الحرب)

حضرتم في الوقت المناسب يا هلال.

هلال: تجرعنا الألم في معركتنا مع جنود صمادح ، لم نكن نتوقع تطويقهم لنا ولكن النصر خانهم عند سماعهم موت صمادح ووزراءه.

شعلة: توقعت هذا.

هلال: لا بأس! قد زال الطغيان والجبن ، جبن باديس وطغيان يوسف.

شعلة: سيبايعونك أميرا عليهم بالتراضي لا بالسيف، السلطة تهدي عرشها للأمير الذي تختاره الأقدار، بايعوه!

غرناطي: أنت خائنة.

شعلة: من الصعب أن تتكلم باسم الجماعة.

غرناطي: إلى الجحيم أنت وهلال والوصاية وهؤلاء الأموات، إنكم تمتصون دماءنا . غرناطة بها رجال يصلحون للحكم والإدارة.

هلال: اتسمعون؟ أنا لست في حاجة إلى ملك. (لشعلة) شعلة! لا تطمعي من جديد في أنوار القصور ! اتركي الأمور لذويها! اختاري ما بين غرناطة ورندة ! وإن كنت تمثلين العهد الماضي عهد الدسائس.

(ينقض الأهالي على شعلة وتفارق الحياة)

هلال: أغبياء.

(يريدون الهجوم عليه)

اقتلوهم! غدرهم أكيد.

(يقتلونهم وتمتلىء الأرض بالدماء)

قربان الدخول إلى غرناطة هو هذه الدماء . ادخلوا فاتحين باسم السيف! السفك حلال. انهجوا نهج الإستبداد!

ادخلوا إلى الداخل وتفرقوا في الجهات واقتلوا من يناهض سلطتنا!